الصوفية

في ميزان الكتاب والسنة



إعداد
محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

الصوفية
في ميزان الكتاب والسنة

إعداد
محمد بن جميل زينو
المدرس في دار الحديث الخيرية بمكة المكرمة

اخي المسلم ... اختي المسلمة

إذا أردت ان يكون لك الاجر في الدنيا والأخرة فاطبع هذا الكتاب او ساهم في طبعه ، فأنه من الصدقات الجاريات في الحياة وبعد الممات .

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله مِن شرور أنفسنا ومِن سيئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مضِلَّ له ، ومَن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

أما بعد : فإن الصوفية انتشرت في بلاد المسلمين ، ولقد عشت بينها سِنين طويلة ،وحضرت مجالسها على اختلاف طرُقها وتكلمت عنها في كتبي ، ولاسيما في كتاب :
(**معلومات مهمة مِن الدين**) حيث كتبت بحثاً بعنوان :
(**الصوفية في ميزان الكتاب والسنة**) فاقترحت عَلَيَّ
[**دار المحمدي للنشر والتوزيع في جدة**]
أن تفرد هٰذا البحث في رسالة مستقلة ، ليعلم الناس حقيقة الصوفية ، بعد أن وضعتها في ميزان الكتاب والسنة ، حتىٰ يكونوا علىٰ بيِّنة مِن أمرها .

وقد زدت في هذه الطبعة بحوثاً هامة ، ومواضيع جديدة ، لها علاقة بالصوفية ، ليكون القارىء علىٰ عِلم بما في الصوفية مِن مخالفات ؛ راجياً المولىٰ أن يهدينا وإياهم إلىٰ الصراط المستقيم .
والله أسأل أن ينفع بها المسلمين ويجعلها خالصة لله تعالىٰ .

محمد بن جميل زينو

نشأة التصوف

لا يُعرف على وجه التحديد من بدأ التصوف في الأُمَّة الإسلامية ومَن هو أول متصوف وإن كان الإمام الشافعي رضي الله عنه عندما دخل مِصر قال: (تركنا بغداد وقد أحدث الزنادقة فيها شيئاً يُسمونه السماع)، والزنادقة الذين عناهم الإمام الشافعي هنا: هم المتصوفة. والسماع: هو الغناء والمواجيد والمواويل التي ينشدونها، ومعلوم أن الشافعي دخل مصر سنة ١٩٩هـ وكلمة الشافعي توحي بأن قضية السماع هذه قضية جديدة ولكن أمْرَ هؤلاء الزنادقة يبدو أنه كان معلوماً قبل ذلك بدليل أن الشافعي قال كلاماً كثيراً عنهم كقوله مثلاً: (لو أن رجلاً تصوف أول النهار لا يأتي الظهر حتى يكون أحمق).

وكل هٰذا يدل على أنه قد كان هناك قبل نهاية القرن الثاني الهجري فرقة معلومة عند علماء الإسلام يسمونهم أحياناً الزنادقة، وأحياناً بالمتصوفة.

وأما الإمام أحمد فقد كان معاصراً للشافعي وتلميذاً له في أول الأمر فقد أُثِرَ عنه أقوال كثيرة في التنفير مِن أفراد مُعَينين نُسِبوا إلى التصوف كقوله في رجل جاء يستفتيه في كلام الحارث المحاسبي: (قال أحمد بن حنبل لا أرىٰ لك أن تجالسهم)، وذلك بعد أن اطلع أحمد بن حنبل علىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها للبكاء ـ محاسَبة النفس كما يزعمون ـ والكلام على الوساوس وخطرات

القلوب، والذي يبدو أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه قال هٰذا الكلام في مطلع القرن الثالث ، ولكن هذا القرن ما كاد يكتمل حتىٰ ظهر التصوف على حقيقته، وانتشر في الأُمَّة انتشاراً ذريعاً. واستطاع المتصوفة أن يُظهروا ما كانوا يخفونه سابقاً ؛ والمطَّلِع على الحركة الصوفية مِن أول نشأتها إلى حين ظهورها العلني على ذلك النحو يجد أن أساطين الفكر الصوفي جميعهم في القرنين الثالث، والرابع الهجريين كانوا مِن الفرس، ولم يكن فيهم عربي قط، أي إن التصوف بلغ غايته مِن حيث العقيدة والتشريع في نهاية القرن الثالث حيث استطاع الحسين بن منصور الحلاج أن يظهر معتقده على الملأ.

ولذلك أفتى علماء عصره بكفره وقتله؛ فقتل ٣٠٩هـ وبالرغم مِن ذلك فإن الصوفية ظلت تواصل انتشارها في أرض فارس على الخصوص ثم في العراق ؛ وساعد على انتشارها في فارس أن أقام رجل يُسَمَّىٰ أبو سعيد الميهني نظاماً خاصاً للخانات الذي أصبح فيما بعد مركزاً للصوفية وقلَّده في ذلك عامة رجال التصوف ؛ ومِن هنا نشأت في منتصف القرن الرابع الهجري بدايات الطرق الصوفية التي سرعان ما انتشرت في العِراق ومِصر والمغرب.

وفي القرن السادس ظهرت مجموعة من رجال التصوف كُلٌّ منهم يزعم أنه مِن نسل الرسول ﷺ ، حيث استطاع كل منهم أن يقيم له طرقاً خاصة وأتباعاً مخصوصين ، فظهر الرفاعي في العراق ،

والبدوي في مصر ولا يعرف له أُم ولا أب ولا أُسرة، وكذلك الشاذلي في مصر، وتتابع ظهور الطرق الصوفية التي تفرعت من هٰذه الطرق.

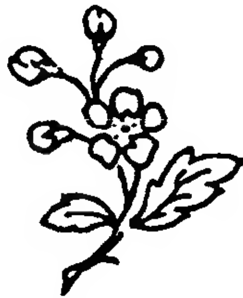
وفي القرن السادس والسابع والثامن بلغت الفتنة الصوفية أقصاها وأنشأوا فرقاً خاصة بالدراويش وظهر المجاذيب وبُنيت القباب على القبور في كل ناحية، وذلك بقيام الدولة الفاطمية (الباطنية) في مصر وبَسِط سيطرتها على أقاليم واسعة مِن العالم الإسلامي، وبنائها للمزارات والقبور المفتراة، كقبر الحسين بن علي رضي الله عنهما في مصر والسيدة زينب، وإقامتهم بعد ذلك للموالد والبدع والخرافات الكثيرة، وتأليههم في النهاية الحاكم بأمر الله العبيدي؛ لقد بدأت الدعوة الفاطمية في المغرب لتكون بديلاً للحكم العباسي السني، واستطاعت هذه الدولة تجنيد هذه الفرقة الصوفية وغزوَ العالم الإسلامي بهذه الجيوش الصليبية مِن أرض الإسلام؛ وأخيراً عمَّ الخَطب وطَم في القرون المتأخرة التاسع والعاشر والحادي عشر، حين ظهرت عشرات الطرق الصوفية، وانتشرت العقيدة والشريعة الصوفية في الأُمة، واستمر ذلك إلى عصر النهضة الإسلامية الحديثة.

لقد بدأت طلائع هذه النهضة ومقوماتها في آخر القرن السابع وبداية القرن الثامن على يد المجدِّد أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الذي صاول كل العقائد المنحرفة، بقلمه وبيانه ومن جملة ذلك عقائد المتصوفة، ولاقىٰ في ذلك ما لاقىٰ، جاء تلاميذه مِن بعده

مجاهدين في هٰذا الصدد كابن القيم ، وابن كثير ، والحافظ الذهبي وابن عبد الهادي وغيرهم .

وقويت شوكة التصوف والتخريف والعقائد الباطلة وتمكنت من الأُمّة تمكناً عظيماً، ولكن الله هيأ للأمة في القرن الثاني عشر الهجري الإمام محمد بن عبد الوهاب الذي تتلمذ على كتب الشيخ ابن تيمية فقام مصاولاً هذا الباطل ، وقد حقق الله على يديه ظهور النهضة الإسلامية الحديثة ، فقد استجاب لدعوته المخلصون في كل أنحاء العالم الإسلامي ، ولكن ما زالت دولة التصوف قوية في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي ، ثم إن رموز الصوفية ما زالت موجودة وأعني برموزه القبور والمزارات والشيوخ الضالين والعقائد الفاسدة.

«انظر عبد الرحمن عبد الخالق ، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب و السنة ، ص ٣٣ وَ ليلىٰ بنت عبد الله ، الصوفية عقيدة وأهداف ، ص١٣-ص١٧»



الصوفية في ميزان الكتاب والسنة

لقد انتشرت الصوفية في بلاد العالم الإسلامي ، وانقسم الناس فيها إلى فريقين : مؤيد ومعارض ، فكيف يعرف المسلم الحق ؟ هل هو مع المؤيدين للصوفية، فيسير معهم ؟ أم هو من المعارضين للصوفية فيجتنبهم ؟ لا بد من الرجوع إلى الكتاب والسنة الصحيحة لمعرفة ذلك ، عملاً بقوله تعالى :

﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ﴾ . « النساء :٥٩ »

لم يعرف الإسلام اسم الصوفية في زمن الرسول وصحابته والتابعين ، ثم جاء جماعة من الزهاد لبسوا الصوف ، فأطلقوا هذا الاسم عليهم . وقيل مأخوذ من كلمة (صوفيا) ومعناها الحكمة ؛ حينما تُرجمت كتب الفلسفة اليونانية ، وليست مأخوذة من الصفاء كما يدَّعي بعضهم ، لأن النسبة إلى الصفاء (صفائي) وليست (صوفي) يقول أبو الحسن الندوي في كتابه : (ربانية لا رهبانية) :

ليتهم ما قالوا صوفية، بل سموها تزكية ، كما قال الله تعالى :

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِم ﴾ « البقرة : ١٢٩ »

فظهور هذا الاسم الجديد فرق المسلمين .

أقول : ليس في الصوفية تزكية ؛ بل فيها شرك ورياء ومخالفة لتعاليم الإسلام .

وقد تختلف الصوفية الأوائل عن الصوفية المتأخرة التي انتشرت

فيها البدع أكثر من سالفتها ، وقد حذر منها الرسول ﷺ بقوله : (**إيَّاكم ومحدَثات الأمور، فإنَّ كُلَّ محدَثة بِدعة، وكُلّ بِدعة ضَلالة**)

« رواه الترمذي وقال حسن صحيح »

ومِن الإنصاف أن نضع تعاليم الصوفية في ميزان الإسلام لنرىٰ قربها أو بعدها عنه :

١- الصوفية لها طرق متعددة كالتيجانية، والقادرية، والنقشبندية والشاذلية ، والرفاعية ، وغيرها من الطرق التي يدَّعي كل منها أنه على حق ، وغيرها على باطل ، والإسلام ينهىٰ عن التفرق يقول الله تعالىٰ: ﴿ **وَلا تكونُوا مِنَ المشرِكِين مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعَاً كُلُّ حِزْبٍ بمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُون** ﴾ . «الروم : ٣١، ٣٢»

٢- الصوفية تدعو غير الله من الأنبياء والأولياء الأحياء والأموات فهي تقول : (يارسول الله غوثاً ومدد ويارسول الله عليك المعتمد) والله ينهىٰ عن دعاء غيره، ويعتبره شِرْكاً إذ يقول :

﴿ **وَلا تَدْعُ مِنْ دُونِ الله مَا لايَنفَعُكَ وَلايَضُرُّكَ فَإنْ فَعَلْتَ فَإنَّكَ إذاً مِنَ الظَّالِمين** ﴾ . «يونس: ١٠٦»

[الظالمين : المشركين] .

والرسول ﷺ يقول : (**الدعَاءُ هُوَ العِبادَة**) «رواه الترمذي وقال حسن صحيح»

فالدعاء عبادة كالصلاة لايجوز لغير الله ولو كان رسولاً أو ولياً وهو من الشرك الأكبر الذي يحبط العمل، ويُخلِّد صاحبه في النار .

٣- الصوفية تعتقد أن هناك أبدالاً وأقطاباً وأولياء سلَّم الله لهم تصريف الأمور وتدبيرها ؛ والله تعالى يقول جواب المشركين حين سألهم :

﴿ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأمرَ ؟ فَسَيَقُولُونَ الله ﴾ . « يونس : ٣١ »

والصوفية يلجأون لغير الله عند نزول المصائب ؛ والله يقول :

﴿وإنْ يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إلا هُوَ وَإنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كلِّ شيْءٍ قَدِير ﴾ . « الأنعام : ١٧ »

والله يقول عن المشركين في الجاهلية حين تنزل بهم المصائب :

﴿ ثُمَّ إذا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فإليهِ تَجْأَرُون ﴾ . « النحل : ٥٣ »

٤- بعض الصوفية يعتقد بوحدة الوجود فليس عندهم خالق ومخلوق فالكُلُّ خَلْق والكُلُّ إله ، وزعيمهم ابن عربي المدفون بدمشق يقول :

العبدُ رَبٌّ ، والرَّبُّ عبدٌ يا لَيتَ شِعريْ مَن المكلَّفُ ؟

إنْ قلتَ عَبدٌ فذاكَ حقٌّ أو قلتَ رَبٌّ فأنَّىٰ يُكلَّفُ ؟

« الفتوحات المكية لابن عربي »

٥- الصوفية تدعو إلىٰ الزهد في الحياة ، وترك الأسباب والجهاد ، والله تعالى يقول : ﴿ وَابْتَغِ فيما آتاكَ الله الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنيا ﴾ . « القصص : ٧٧ »

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّة ﴾ . « الأنفال : ٦٠ »

٦- الصوفية تعطي مرتبة الإحسان إلى شيوخها ، وتطلب من مريديهم أن يتصوروا شيخهم عندما يذكرون الله ، حتى في صلاتهم ،

وكان لي قريب رأيته يضع صورة شيخه أمامه في الصلاة ، والرسول ﷺ يقول : (الإحسانُ أنْ تعبُدَ الله كأنَّكَ تَراه ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَراه فإنَّه يَراكَ) . «رواه مسلم»

٧- الصوفية تدَّعي أن عبادة الله لا تكون خوفاً مِن ناره ، ولا طمعاً في جنته ، ويستشهدون بقول رابعة العدوية :

(اللهم إن كنتُ أعبدك خوفاً مِن نارك فاحرقني فيها ، وإن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها) .

ولقد سمعتهم ينشدون قول عبد الغني النابلسي : مَن كان يعبد الله خوفاً مِن ناره فقد عبد النار ، ومَن عبَدَ الله طلباً للجنة فقد عبَدَ الوثن والله تعالىٰ يمدح الأنبياء الذين يدعونه رغباً ورهباً فيقول :

﴿ إنَّهُم كَانُوا يُسَارِعُونَ في الخَيْراتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً ﴾ .
[أي راغبين في جنته ، خائفين مِن عذابه] . «الأنبياء : ٩٠»

والله تعالىٰ يخاطب رسوله الكريم قائلاً :

﴿ قُلْ إني أَخَافُ إنْ عَصَيْتُ رَبي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيم ﴾ . «الأنعام : ١٥»

٨- الصوفية تبيح الرقص والدُّف ورفع الصوت بالذِّكر ، والله تعالى يقول : ﴿ إنَّمَا المؤمِنُونَ الَّذِينَ إذا ذُكِرَ الله وَجِلَتْ قُلُوبُهُم ﴾ «الأنفال»

ثم تراهم يذكرون بلفظ (الله) حتىٰ يصلون إلى التلفظ بكلمة (أه آه)

والرسول ﷺ يقول : (أفضلُ الذِّكر لا إلٰه إلا الله) «حسن رواه الترمذي»

ورفع الصوت في الذِّكر والدعاء منهي عنه بقول الله تعالى :
﴿ اُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعَاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يحبُّ المعتَدِين ﴾ «الأعراف: ٥٥»
[لا يحب المعتدين في الدعاء بالتشدق ورفع الصوت] «ذكره تفسير الجلالين»
والرسول ﷺ يسمع أصحابه يرفعون أصواتهم فيقول لهم :
(أيها الناسُ اِرْبَعُوا علىٰ أنفسِكم ، فإنكم لا تدْعون أصمَّ ولا غائباً إنكم تَدْعُونَ سميعاً قريباً ، وهو معكم) . «رواه مسلم»
[وهو معكم : يسمَعكم ويراكم ويعلم أحوالكم] .
٩- الصوفية تذكر اسم الخمر والسكْر ، فيقول شاعرهم ابن الفارض :
شربنا على ذِكْرِ الحبيبِ مُدامة   سكِرنا بها مِن قبل أن يُخلق الكَرْم
وسمعتهم ينشدون في المسجد :
هاتِ كاس الرَّاح   واسقِنا الأقداح
[والمُدامة والرَّاح : مِن أسماء الخمر] .
أقول : لا يستحي الصوفية من ذكر أسماء الخمر في بيت الله الذي أُنشيء لذِكر الله لا لذِكر أسماء الخمر المحرَّمة ، والله تعالى يقول :
﴿ يَا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إنما الخمْرُ والميسِرُ والأنْصَابُ والأزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشيطانِ فاجْتنِبوهُ لَعَلَّكمْ تُفلِحون ﴾ . «المائدة: ٩٠»
١٠- الصوفية تتغزل باسم النساء والصبيان في مجالس الذِّكر ، فيُردِّدون اسم الحب ، والعِشق والهوى ، وليلىٰ ، وسعاد ، وغيرها وكأنهم في مجلس طرب ، فيه الرقص ، وذِكر الخمر ، مع التصفيق

والصياح ؛ والتصفيق مِن عادة المشركين وعبادتهم قال الله تعالى :
﴿ ومَا كانَ صَلاتُهُمْ عِندَ البَيْتِ إلا مُكَاءً وتَصْدِيَـةً ﴾ . «الأنفال : ٣٥»
[المُكاء : الصفير ، والتصدِيَة : التصفيق] .

١١- الصوفية تستعمل الدُفَّ المسمَّىٰ بـ (المزهر) في ذِكرها ، وهو مزمار الشيطان ، فقد دخل أبو بكر على عائشة فوجد عندها جاريتين تضربان بالدُّفِّ ، فقال أبو بكر : مزمار الشيطان (مرتين) فقال له الرسول ﷺ :

(دعْهُما يا أبا بكر ، فإنهما في يوم عِيد) . «رواه البخاري»

فقد أقرَّ الرسول ﷺ أبا بكر على قوله ، ولكنه أخبره أنه في يوم عيد مسموح به للبنات ، ولم يثبت عن الصحابة والتابعين أنهم استعملوا الدُّفَّ عند ذكرهم بل هو مِن بدع الصوفية التي حذَّر منها الرسول ﷺ بقوله : (مَن عمِل عمَلاً ليسَ عليه أمْرُنا فهو رَدٌّ) . «رواه مسلم»
[رَدٌّ : غير مقبول] .

١٢- بعض الصوفية يضرب نفسه بسيخ حديد قائلاً : (ياجداه) فتأتيه الشياطين ليساعدوه على فعله ، لأنه استغاث بغير الله ، والدليل قول الله تعالى : ﴿ ومَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰن نُقَيِّضْ لَهُ شيطاناً فهو لهُ قَرِين وإنهمْ لَيَصُدُّونهمْ عَنِ السَّبيلِ وَيحسَبُونَ أنهمْ مُهْتَدُون ﴾ «الزخرف : ٣٦»
[يَعْشُ : يُعرِض] .

وبعض الجهال يظن أن هٰذا العمل مِن الكرامات ، مع أن الفاعل

لها قد يكون فاسقاً وتاركاً للصلاة؛ وكيف نعتبره كرامة، وصاحبه استغاث بغير الله عندما قال: (ياجداه) بل هذا من الشرك والضلال الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ ممنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله﴾ «الأحقاف: ٥» وهو استدراج في طريق الضلال لفاعله بعد أن اختار الطريق لنفسه قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كان في الضَّلالةِ فَلْيَمْدُدْ لهُ الرَّحْمٰنُ مَدّاً﴾ «مريم: ٧٥»

١٣- الصوفية لها طرق كثيرة كالتيجانية، والشاذلية، والنقشبندية، وغيرها؛ والإسلام له طريق واحد فقط، والدليل حديث ابن مسعود رضي الله عنه حين قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ خَطاً بيده، ثم قال: (هٰذا سبيلُ اللهِ مستقيماً) وخطَّ خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال: هٰذه السُّبُل، ليس منها سبيلٌ إلا عليه شيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالىٰ:

﴿ وَأَنَّ هٰذا صِرَاطِيْ مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوهُ ولاتَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾. «الأنعام: ١٥٣»

«صحيح رواه أحمد والنسائي»

١٤- الصوفية تدَّعي الكشف وعِلمَ الغيب؛ والقرآن يكذبهم قائلاً:

﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ في السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إلا الله ﴾ «النمل: ٦٥»

وقال ﷺ: (لا يَعلمُ الغيبَ إلا الله). «حسن رواه الطبراني»

١٥-الصوفية تزعم أن الله خلق محمداً من نوره، وخلق من نوره جميع الأشياء، والقرآن يكذِّبهم قائلاً:

﴿ قُلْ إِنَّمَا أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلٰهُكُم إِلٰهٌ وَاحِدٌ﴾ «الكهف»

وقوله تعالىٰ عن خلق آدم :

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلمَلٰئِكَةِ إِنِي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ ﴾ . «ص: ٧١»

وأما حديث : (أوّل ما خَلقَ الله نور نبيِّكَ يا جابر) «فهو موضوع وباطل»

١٦- الصوفية تزعم أن الله خلق الدنيا لأجل محمد ﷺ والقرآن يكذبهم قائلاً : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا لِيَعْبُدُون ﴾ . «الذاريات : ٥٦»

وخاطب القرآن الرسول ﷺ بقوله :

﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ اليَقِين ﴾ . «الحِجر : ٩٩»

[اليقين : الموت] .

١٧- الصوفية تزعم رؤية الله في الدنيا ، والقرآن يكذبهم حين قال على لسان موسى عليه السلام :

﴿ رَبِّ أَرِنِي أنظرْ إليْكَ قَالَ لَنْ تَرَاني ﴾ . «الأعراف: ١٤٣»

وقد ذكر الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين (باب حكاية المحبين ومكاشفاتهم) هٰذه القصة : قال أبو تراب يوماً : لو رأيت أبا يزيد! فقال له صديقه : إني عنه مشغول ، قد رأيت الله تعالى فأغناني عن أبي يزيد : قال أبو تراب : ويلك تغتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد (البسطامي) مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة ثم قال الغزالي : فأمثال هذه المكاشفات لا ينبغي أن ينكرها المؤمن .

«أُنظر الإحياء ج ٤ / ٣٦٥»

أقول : بل يجب على المؤمن أن ينكرها لأنها كذب وكفر تخالف القرآن والحديث والعقل .

١٨- الصوفية تدَّعي وتزعم رؤية الرسول ﷺ في الدنيا يقظة ، والقرآن يكذبهم قائلاً : ﴿ ومِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُون ﴾ «المؤمنون: ١٠٠» أي مِن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا إلى يوم القيامة ولَمْ ينقل إلينا أن أحداً من الصحابة رأىٰ الرسول ﷺ يقظة ، فهل الصوفية أفضل من الصحابة وغيرهم؟سبحانك هٰذا بهتان عظيم .

١٩- الصوفية تزعم أنها تأخذ العِلم من الله مباشرة بدون واسطة الرسول ﷺ فيقولون : (حدثني قلبي عن ربي):

قال ابن عربي المدفون بدمشق في كتابه الفصوص :

(فمِنَّا الخليفة عن الرسول الذي يأخذ الحُكم عنه ﷺ أو بالاجتهاد الذي أصَّلَه أيضاً ، وفينا مَن يأخذ عن الله فيكون خليفة الله !) .

أقول : هٰذا كلام باطل يخالف القران الذي ينص على أن الله أرسل محمداً ﷺ ليبلِّغ الناس أوامر الله : قال الله تعالى :

﴿ يآ أيُّـها الرَّسُولُ بَـلِّغْ مَا أُنْزِلَ إلَيْـكَ مِنْ رَبِّـكَ ﴾ . «المائدة : ٦٧»

ولا يمكن لأحد أن يأخذ عن الله مباشرة ، وهو كذب وافتراء .

ثم إن الإنسان لا يكون خليفة الله ، لأن الله لم يغب عنا حتى نخلفه ، فالله هو الذي يحفظ أهلنا حينما نغيب ونسافر ، وجاء في الحديث : (اللهم أنت الصاحبُ في السَّفر والخليفة في الأهل). «رواه مسلم»

٢٠- الصوفية تقيم الموالد والاجتماع باسم مجلس الصلاة على النبي ﷺ وهم يخالفون تعاليمه ، وذلك حينما يرفعون أصواتهم في الذكر والأناشيد والقصائد التي فيها الشرك الصريح ، فسمعتهم يقولون مخاطبين الرسول ﷺ :

المَدَد يا عَريضَ الجاه المَدَد ويا مُفيضَ النُّورِ على الوجُود المدَد
يا رسولَ الله فرِّج كربَنا ما رآكَ الكربُ إلا وشَرَد

أقول : الإسلام يوجب علينا الاعتقاد بأن مُفِيْض النور على الوجود ، والمفرِّج للكروب هو الله وحده .

٢١- الصوفية تشدُّ الرِّحال إلى القبور للتبرك بأهلها أو الطواف حولها أو الذبح عندها ، أو دعائها من دون الله مخالفين قول الرسول ﷺ :
(لا تُشد الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هٰذا ، والمسجد الأقصىٰ) . « متفق عليه »

٢٢- الصوفية تتعصب لشيوخها ، ولو خالفت قول الله ورسوله ، والله تعالى يقول :
﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بين يَدَيِ الله ورَسُولِه ﴾ . « المائدة : ٦٧ »
والرسول ﷺ يقول :
(لا طاعة لأحدٍ في معصية الله إنَّما الطاعة في المعروف) . « متفق عليه »

٢٣- الصوفية تستعمل الطلاسم والحروف والأرقام لعمل الاستخارة والتمائم والحجب ، وغير ذلك .

أقول: لماذا يلجأون إلى حساب اسم الزوجين في الاستخارة، وغيرها مِن البدع، ويتركون دعاء الاستخارة الوارد في صحيح البخاري الذي كان يُعلِّمه الرسول ﷺ أصحابه كالسورة مِن القرآن يقول: (إذا هَمَّ أحدُكم بالأمر فَلْيركع ركعتين مِن غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمِك، وأستَقْدِرُكَ بقدرتك، وأسألك مِن فضلِك العظيم، فإنَّك تَقْدِرُ ولا أقدِرُ، وتَعلَمُ ولا أعلم، وأنت علاَّم الغيوب. اللهم إن كنتَ تعلمُ أنَّ هٰذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، فاقدُرْهُ لي، ويَسِّره لي، ثم بارِكْ لي فيه، وإن كنتَ تعلم أن هٰذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدُر لي الخير حيث كان، ثم رضِّني به) «البخاري»

٢٤- الصوفية لا تتقيد بالصلوات الواردة عن الرسول ﷺ، بل يبتدعون صلوات فيها الشرك الصريح الذي لا يرضاه الذي يُصَلُّون عليه، فقد قرأت في كتاب: (أفضل الصلوات) لشيخٍ لُبنانيٍ صوفيٍ يقول فيه: (اللهم صلِّ على محمد حتى تجعل منه الأحدية القيومية).

أقول: الأحدية، والقيومية مِن صفات الله وأسمائه. وفي كتاب: (دلائل الخيرات) صلوات مبتدعة لا يرضاها الله ورسوله ﷺ.

لقد رأيت يا أخي المسلم أن الصوفية بعيدة عن الإسلام جداً بعد أن رأيت اعتقادها وأعمالها في ميزان الإسلام؛ وأن العقل السليم يرفض هٰذه البدع التي تُوقِع في الشِّرك والكفر.

مِن أقوال الصوفية

إن كثيراً مِن الناس يظن أن الصوفية من الإسلام ، وأن فيهم الأولياء ، وأُريدُ لكل أخ مسلم أن يطَّلع على أقوالهم ليرىٰ بُعدهم عن الإسلام وتعاليم القرآن :

١- يقول الشيخ محي الدين بن عربي المدفون بدمشق وهو كبير الصوفية في كتابه (الفتوحات المكية):

(ورُبَّ حديث يكون صحيحاً عن طريق رواته حصل لهٰذا المكاشف الذي عاين هذا المظهر ، فسأل النبي ﷺ عن هذا الحديث فأنكره وقال له : « لم أقله ولا حكمت به » فيعلم ضعفه ، فيترك العمل به ، على بينة مِن ربه ، وإن كان عمل به أهل النقل لصحة طريقه ، وهو في نفس الأمر ليس كذلك) .

هٰذا الكلام موجود في مقدمة كتاب الأحاديث المشهورة للعجلوني هٰذا الكلام خطير ، وضربٌ للحديث النبوي وطعنٌ في علماء الحديث كالبخاري ومسلم وغيرهما .

٢- ويقول ابن عربي عن وحدة الأديان كاليهودية والنصرانية والوثنية والإسلام :

وقد كنتُ قبل اليوم أُنكرُ صاحبي ... إذا لم يكن دِينه إلى دِينيَ داني
فأصبحَ قلبي قابلاً كُلَّ حالةٍ ... فمرعىً لِغزلانٍ وَدَيرٌ لرُهبان
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةِ طائفٍ ... وألواحُ توراةٍ ومُصحفُ قرآنِ

والقرآن يردُّ كلام ابن عربي ويقول: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسْلامِ دِينَاً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنهُ وهُوَ في الآخِرَةِ مِنَ الخاسرين ﴾ . «آل عمران: ٨٥»

٣- وابن عربي يعتقد أن الله هو المخلوق ، والمخلوق هو الله ، وكل منهما يَعبُد الآخَر ، ويعبِّر عن ذلك بقوله:

فيحمَدُني وأحمدُه ويعبُدني وأعبُدُه

٤- ويقول ابن عربي في كتابه الفصوص :

(إن الرجل حينما يضاجع زوجته إنما يضاجع الحق) ! .

٥- ويشرح النابلسي ذلك بقوله : (إنما ينكح الحق) . تعالىٰ الله عمَّا يقولون علواً كبيراً .

٦- ويقول أبو يزيد البسطامي يخاطب الله : فزيِّنّي بوحدانيتك ، وألبِسْني رَبانيتك ، وارفعني إلى أحديتك ، حتى إذا رآني خلقك قالوا رأيناك ؛ ويقول عن نفسه :

سبحاني سبحاني ، ما أعظم شاني ، الجنة لعبة صبيان ! !

٧- ويقول جلال الدين الرومي : مسلم أنا ولكني نصراني ، وبرهامي وزرادشتي ، ليس لي سوى معبود واحد . . . مسجد ، أو كنيسة ، أو بيت أصنام .

٨- يقول ابن الفارض : إن الله تجلَّىٰ لقيس بصورة ليلىٰ ، وتجلَّىٰ لِكُثَيِّر بصورة عزة ، وتجلَّىٰ لِجَميل بصورة بُثينة ؛ في قصيدته التائية المعروفة ، فهو يعترف أن هٰذا مِن تجليات الحق .

٩- سُئلت رابعة العدوية: هل تكرهين الشيطان ؟ فقالت:
(إن حبي لله لم يترك في قلبي كراهية لأحد). وتقول مخاطبة الله تعالى:
(إن كنت أعبدك خوفاً مِن نارك فاحرقني فيها!)
والله يحذِّرنا مِن النار فيقول:
﴿ يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا قُوا أنفُسَكُمْ وأهلِيْكُمْ نَاراً ﴾ «التحريم: ٦»
وقالوا عن رابعة: إنها كانت مغنية أو راقصة، فكيف يجوز الأخذ بقولها، وهي تخالف القرآن ؟.
١٠- ألَّف الشيخ عثمان البرهاني وهو صوفي معاصر من السودان كتاباً سماه: (انتصار أولياء الرحمٰن على أولياء الشيطان) :
(ويقصد به الوهابيين والإخوان المسلمين)!

كرامات الصوفية

تزعم الصوفية أن لها رجالاً مِن الأولياء لهم كرامات؛ وسأذكر للقارىء الكريم شيئاً مِن كراماتهم الصادرة عن أوليائهم ليرىٰ أنها خرافات وضلالات وكفريات:
يقول الشعراني في كتابه: (الطبقات الكبرى) يعدد كرامات أولياء الصوفية:
١- وكان رضي الله عنه يلبس الشاش المخطط كعمامة النصارى، وكان دكانه منتناً قذراً، لأن كل كلب وجده ميتاً أو خروفاً،

يأتي به فيضعه داخل الدكان ، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده ، وأنه توجه إلى المسجد فوجد في الطريق مسقاة كلاب فتطهر فيها ، ثم وقع في مشخة حمير .

٢- وكان رضي الله عنه إذا رأىٰ امرأة أو أمرداً (شاباً بلا لحية) راوَده عن نفسه، وحسَّسَ على مقعدته، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير ولو كان بحضرة والده أو غيره، ولا يلتفت إلى الناس! .

٣- ويتحدث الشعراني عن سيده (علي وحيش) فيقول :

وكان إذا رأىٰ شيخ بلد أو غيره ، ينزله من على الحمارة ويقول له إمسك رأسها حتى أفعل بها ، فإن أبىٰ شيخ البلد ، تسمَّر في الأرض لايستطيع أن يمشي خطوة .

٤- يقول الشعراني عن سيده محمد الخضري :

(أخبرني الشيخ أبو الفضل السرسي، أنه جاءهم يوم الجمعة، فسألوه الخطبة، فطلع على المنبر، وحمد الله وأثنىٰ عليه وحده، ثم قال : (وأشهد أن لا إلٰه لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام) ؛ فقال الناس : كفر!! فسلَّ السيف ونزل . وهرب الناس كلُّهم من الجامع، فجلس على المنبر إلى أذان العصر ، وما تجرَّأَ أحد أن يدخل الجامع ، ثم جاء بعض أهالي البلاد المجاورة ، فأخبر أهل كل بلدة أنه خطب عندهم وصلى فيهم ، فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة؛ هٰذا ونحن جلوس نراه جالساً عندنا في الخطبة) .

الجهاد عند الصوفية

الجهاد عند الصوفية قليل جداً فهم مشغولون بجهاد أنفسهم علىٰ زعمهم ؛ ويروون حديثاً كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، وهو قوله ﷺ : (**رَجَعنا مِن الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر**) . فهٰذا لم يروه أحد مِن أهل المعرفة بأقوال النبي ﷺ، بل الواضح مِن القرآن وَالسُّـنَّـة أن جهاد الكفار مِن أعظم القربات إلى الله تعالى، وهذه أقوال الصوفية في الجهاد:

١- يقول الشعراني : لقد أُخذ علينا العهد بأن نأمر إخواننا أن يدوروا مع الزمان وأهله كيفما دار ، ولا يزدرون قط مَن رفعه الله عليهم ، ولو كان في أمور الدنيا وولايتها.

٢- ويقول ابن عربي : إن الله إذا سلَّط ظالماً علىٰ قوم: فلا يجب أن يقاوموه، لأنه عقاب لهم من الله .

٣- وابن عربي وابن الفارض الزعيمان الصوفيان الكبيران عاشا في عهد الحروب الصليبية ، فلم نسمع أن واحداً منهما شارك في قتال ، أو دعا إلى قتال ، أو سجَّلَ في شعره أو نثره آهة على الفواجع التي نزلت بالمسلمين ، لقد كانا يقرران للناس : أن الله هوعين كل شيء، فليَدَع المسلمون الصليبيين، فما هم إلا الذات الإلـٰهية متجسدة بتلك الصور .

٤- ويذكر الغزالي في كتابه (المنقِذ مِن الضلال) عند بحث طريقة

التصوف، أنه كان خلال الحروب الصليبية مشغولا في خلوته تارة في مغارة دمشق ، وتارة في صخرة بيت المقدس ، يُغلق بابهما عليه في مدة تزيد على السنتين .

ولما سَقَط بيت المقدس في يد الصليبيين عام٤٩٢هـ لم يحرك الغزالي ساكناً ، ولا دعا للجهاد وعاش ١٢ سنة بعد سقوطه .

وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، لم يذكر فيه شيئاً عن الجهاد أبداً، بل ذكر فيه كثيرا من الكرامات التي هي خرافات وكفريات .
« أنظر ج ٤ / ٤٥٦ »

٥- ويذكر صاحب كتاب (تاريخ العرب الحديث والمعاصر) : أن أصحاب الطرق الصوفية أشاعوا الخرافات والبدع ، وبثوا روح الانهزامية في النضال ، فاستخدمهم الاستعمار كجواسيس .

٦- ومن كتاب (في التصوف) لمحمد فهر شقفة السوري يقول : (نرىٰ مِن واجبنا خدمةً للحقيقة والتاريخ أن نذكر أن الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب على سورية حاولت نشر هٰذه الطريقة (التيجانية) واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمة ، فقدمت لهم المال والمكان لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا. لكن مجاهدي المغرب لفتوا انتباه المخلصين من أهل البلاد إلى خطر الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية استعمارية تتستر بالدِّين ، فهبَّت دمشق عن بكرة أبيها في مظاهرات صاخبة).

الخــوف والرجـاء

قال الله تعالى : ﴿ وادْعُـوهُ خَوْفَـاً وَطَمَعَـاً ﴾ . « الأعراف : ٥٦ »

يأمر الله سبحانه وتعالى عباده أن يدعوا خالقهم ومعبودهم خوفاً مِن ناره وعذابه ، وطمعاً في جنته ونعيمه ، كما قال في سورة الحِجر :

﴿ نَبِّىءْ عِبادِيْ أني أنا الغَفُورُ الرَّحِيمُ وأنَّ عَذَابِي هُوَ العَذابُ الأَلِيمُ ﴾ « الحجر : ٤٩ ، ٥٠ »

لأن الخوف مِن الله يحمل العبد على الابتعاد عن معاصي الله ونواهيه والطمع في جنته ، ورحمته يحفزه على العمل الصالح ، وكل ما يرضي ربه .

ما تهدي إليه هٰذه الآيات :

١- أن يدعو العبد ربه الذي خلقه ، وهو الذي يسمع دعاءه ، ويجيبه .

٢- عدم دعاء غير الله ، ولو كان نبياً أو ولياً أو ملكاً ، لأن الدعاء عبادة كالصلاة لايجوز إلا لله .

٣- أن يدعو العبد ربه خائفاً مِن ناره ، راغباً في جنته .

٤- في الآية رَدٌّ على الصوفيين القائلين : بأنهم لايعبدون الله خوفاً منه أو رغبة فيما عنده ؛ لأن الخوف والرغبة من أنواع العبادة ، وقد امتدح الله الأنبياء وهم صفوة البشر فقال : ﴿إنَّهُمْ كانُوا يُسَارِعُونَ في الخيراتِ ويَدْعُونَنَا رَغَباً ورَهَباً وكانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ «الأنبياء : ٩٠»

٥- في الآية رَدٌّ على كتاب الأربعين النووية عندما شرح النووي حديث : (إنَّمَا الأعمالُ بالنيِّـات . . .) . « رواه البخاري »

حيث قال : وإذا وجد العمل وقارنته النية فله ثلاث أحوال :

الأول : أن يفعل ذٰلك خوفاً مِن الله تعالىٰ ، وهٰذه عبادة العبيد ! .

الثاني : أن يفعل ذٰلك لطلب الجنة والثواب ، وهٰذه عبادة التجار ! .

الثالث : أن يفعل ذٰلك حياء مِن الله وتأدية لِحقِّ العبودية ، وتأدية للشكر . . وهٰذه عبادة الأحرار ! .

وقد علَّق السيد محمد رشيد رضا على هٰذا الكلام في مجموعة الحديث النجدية فقال :

هٰذا التقسيم أشبه بكلام الصوفية منه بكلام فقهاء الحديث .

والتحقيق أن الكمال الجمع بين الخوف الذي سمَّاه عبادة العبيد ، وكلّنا عَبيد الله ، والرجاء في ثواب الله وفضلِه الذي سمَّاه عبادة التجار .

أقول : والشيخ متولي الشعراوي يتبنى هذه العقيدة في كُتبه ، بل زاد في شططه ، وفسر في الرائي قول الله تعالى :

﴿ ولا يُشرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَاً ﴾ فقال : والجنة أحد ! .

(يعني عبادة الله للجنة شرك) ! .



مشايخ الصوفية

أوهَم مشايخ الصوفية العامة والخاصة بأن لهم الدولة والسلطان على العالمين، وأنهم يعلمون ما كان ويكون ويعلمون الظاهر والباطن ويعلمون الغيب ويتصرفون في الأكوان علىٰ مقتضى ما يريدون (عبد القادر الجيلاني يا متصرف بالأكوان) وَ (لو أرادوا أن لا تقوم الساعة لَمْ تقُم) كما ذكر ذلك الغزالي عنهم في إحيائه.

وأنهم يُغيثون ويستغاث بهم في الملِمَّات:

(يا سيدي يا رفاعي أدركني بالفرَج فإذا لم تدركني إلى من ألتجيء).

وأوهموا أن الشيخ جاسوس القلوب يدخل ويخرج دون علم المريد فأوجبوا على مريديهم أن يكونوا كالميت بين يدي المغسِّل أمام شيوخهم، وأمروهم إذا رأوا الشيخ يزني، عليهم أن يقدموا له الماء (لأنه في الظاهر يزني عندما وضع ذَكَره في فرج الحمارة وفي الباطن كان يسد خرق الباخرة في بحر اللاذقية).

بهذا كله هيمنوا على مريديهم الهيمنة التامة وسيطروا على مشاعرهم وأحاسيسهم السيطرة الكاملة، فعطَّلوا عقولهم حتى أصبحوا كالبُله المجاذيب وحجروا عليهم التفكير الحر (ما أَفْلَح مُريد قال لشيخه لِمَ) (لا تعترض تنطرد يُقفل عليك الباب) حتى أصبحوا حيارىٰ متهوكين لا حول لهم ولا قوة، كالريشة في مهب الرياح، لا يقدِّمون بين يدي الشيخ ولا يؤخرون، ولا يفكرون إلا بعقل الشيخ.

وزادوا الطين بِلَّـةً عندما حظروا عليهم أن يستمعوا لغير شيخهم وأن يتلقوا المعلومات عمن سواه بل وحرَّموا عليهم ذلك بقولهم: (المريد بين شيخين كالمرأة بين زوجين). فتمكنوا بهذه الطريقة الخبيثة من صرفهم عن كل فضيلة، وإبعادهم عن كل علم نافع، وحجْبِهم عن التفقه في الدِّين، ونأوا بهم كل منأى عن عموم علوم الشريعة الغراء، فخاضوا في بحر مِن الجهالات، وانغمسوا في محيط تتلاطم أمواجه بشتىٰ أنواع الضلالات والترهات، لايعون شيئاً مِن أمر الدِّين والدنيا، اللهم سوى تلك الأوراد الموضوعة، والتي قوامها الحلول ووحدة الوجود والتوسل اللامشروع، وتلك الأذكار المحرفة والرقص على نغمات الناي وضرب الدفوف، مع تقبيل يد الشيخ والتمسح بآثاره، وتعظيمه، والمثول بين يديه تعلوهم مسحة الذل والخشوع رجاء أن يفيض عليهم من فتوحاته وبركاته؛ وإذا خرجوا مِن عنده لايعطون ظهورهم أبداً إنما يرجعون القهقري مع الانحناء حتى يخرجوا من المجلس.

ولم يكتف مشايخ الضلال بهذا من مريديهم، بل وأوهموهم أنهم لا ولن يصِلوا إلى الله إلا عن طريق الشيخ فغلوا بهم غُلوّاً لا مزيد عليه، حتى بلغ بأحدهم أن أقسم لي بالله أن شيخه أفضل من محمد ﷺ، وعندما طالبته بالدليل قال: (لأن النبي ﷺ يأتي كل يوم ويحضر درس شيخي يتعلم منه [العِلْم اللَّدني]).

وقد وافق أن كان بالقرب مِن مسجد شيخه الذي كان يلقي فيه الدروس (محلاً للزنىٰ) فيه مئات الزانيات وسوق للخمر في مدينة حلب ، فقلت له: هل يعلم شيخك بمجيء النبي ﷺ على درسه؟ فقال: نعم وهو الذي أخبرنا بذلك. فقلت : وهل يسوغ لشيخك عدم الانكار على ماخور الزنىٰ والسكوت عليه هذه السنين الطويلة مع وجود النبي ﷺ عنده كل يوم؟؟!!! فبُهت؛ ثم هداه الله وصار ممَّن نُحبهم في الله . ومِن جملة الحكايات المضللة ما يروى أن شيخاً يرافقه مريد من مريديه وكان بينهما وبين القرية التي يترددان عليها نهر، فكان إذا أراد الشيخ أن يقطع النهر قال (بسم الله) فيمشي فوق الماء ويوصي مريده أن يقول (يا شيخي) فإذا قالها مشى هو الآخر فوق الماء. وفي يوم من الأيام خطر ببال المريد أن يقول كما يقول الشيخ ـ بسم الله ـ فعندما قال بسم الله غرق، فأسرع الشيخ لإنقاذه وَعَنفه قائلاً: ألم أقل لك أن تقول: (يا شيخي)؟فهذا جزاء المخالفة. وعاهَد المريد أن لا يعود لمثلها.

« أُنظر: أبو يوسف عبد الرحمن بن عبد الصمد ، أسئلة طال حولها الجدل ، ص١٠٧-١٠٩ »

أقول: إن هٰذه القصص الخرافية تخالف تعاليم الإسلام: فالاستعانة لا تجوز إلا بالله ولاسيما في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله : كشفاء المرض، وطلب الرزق، لقوله تعالى: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾. وقوله ﷺ: (إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنتَ فاستعن بالله) .

« رواه الترمذي وقال حسن صحيح »

تقليد الشيخ عند الصوفية

يعلِّل الشيخ ابن تيمية ظهور الحاجة لدى بعض العُبَّاد والزهَّاد إلى تقليد شيخ معين في السلوك، بأن سبب ذلك هو ما حصل لهم مِن إعراض عن طلب العلم النبوي الصافي، الذي يُعرف به طريق الله ورسوله: أي إنهم حين أعرضوا عن قراءة الكتاب والسنة، احتاجوا إلى تقليد الشيوخ في بداياتهم، ثم في أذكارهم وشكل عباداتهم وعددها وأوقاتها؛ وهذا كله موجود في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف باستفاضة، بل إن الشيخ ابن تيمية يؤكد على أن ما تنازع فيه الشيوخ مِن مسائل العقائد كلها منصوصة في الكتاب والسنة. وإن كُلّ ما تنازع فيه الشيوخ مِن مسائل السلوك يوجد في الكتاب والسنة مِن النصوص الدالة على الصواب فيه ما يفهمه غالب السالكين. وإنما يُعْوِزُ هؤلاء الإقبال على الطريق المشروع وتجنب طريق البدع حتى لا يقع فيه الخلاف. «أُنظر ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١٩ / ص ٢٧٣»

حدود الطاعة للشيخ

حدَّد شيخ الإسلام ابن تيمية طاعة المريد المشروعة لشيخه ما حاصله: إن المسلمين قاطبة لهم مرجع يرجعون إليه. لا يخالفونه قيد أُنملة، وذلك المرجع هو الكتاب السنة.

فإن كان الشيخ ـ مهما علا أمره وارتفع شأنه ـ يُملي على مريديه ما يوافق الكتاب والسنة فِنعمت الطريقة ونِعمَ المسلك، وإن كان ما

يمليه عليهم مخالفاً للكتاب والسنة . فالواجب رفضه فإنه :

(لا طاعةَ لِمخلُوقٍ في معصيةِ الخالِق) . «صحيح رواه أحمد»

وليس أحد معصوماً إلا رسول الله ﷺ ، وهٰذا في الشيخ الذي تثبت معرفته بالدِّين وعمله به .

وأما مَن كان مبتدعاً بدعة ظاهرة . أو فاجراً فجوراً ظاهراً فهذا يجب الإنكار عليه في بدعته وفجوره لا أن يُطاع فيما يأمر به .

«المصدر نفسه ص٥١٧، بتصرف: أحمد بن محمد بناني»

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

(وإنْ أمَرَ أحد الشيوخ أو غيرهم بما أمر الله به ورسوله ، وجَبَت طاعة الله ورسوله ؛ فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل أحد في كل حال . ولو كان الآمِر بهما كائناً مَن كان).

(وأما مَن أحب شخصاً لهواه مثل أن يحبه لدنيا يصيبها منه أو لحاجة يقوم له بها ، أو لمال يتأكله به ، أو لعصبية فيه ، ونحو ذلك مِن الأشياء . فهٰذه ليست محبة لله . بل هذه محبة لهوىٰ النفس ، وهٰذه المحبة هي التي توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصيان) .

ثم يقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله :

(وما أكثر مَن يدَّعي حب مشائخه لله . ولو كان يحبهم لأطاع الله الذي أحبهم لأجله . فإن المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير). «المصدر نفسه ، ص ٥٢١»

مفهوم الولي عند الصوفية

إن مفهوم الولي عند كثير من الصوفية هو الذي يكون على قبره قبة كبيرة أو الذي دفن في المسجد، وينسب السَّدَنة لهذا الولي بعض الكرامات وقد تكون غير صحيحة، لكي يأخذوا من الناس أموالهم ويأكلوها بالباطل، كما هو في مصر، وحضرموت، وسوريا، وغيرها.

وفكرة القباب، والمشاهد بدعة اخترعها الدروز وسمّوا أنفسهم بالفاطميين ليصرفوا الناس عن المساجد، وأكثرها مفتعلة لا أصل لها حتىٰ قبر الحسين رضي الله عنه ليس في مصر، وقد استشهد في العراق.

والدفن في المسجد من عمل اليهود والنصارى، وفي الحديث: (لَعَنَ الله اليهودَ والنصارى، اِتَّخَذُوا قُبُورَ أنبيائهم مساجد). «متفق عليه»

يظن بعض الناس أن الرسول ﷺ دُفن في مسجده، وهذا خطأ كبير لأن الرسول ﷺ دفن في بيته، ثم بقي على حاله حتى جاء الأمويون بعد (٨٠) عاماً ووسَّعوا المسجد، وأدخلوا القبر إليه.

إن كثيراً مِن المسلمين يدفنون الموتىٰ في المساجد ولا سيما إذا كان شيخاً، وبعد مدة يسألونه مِن دون الله، ويقعون في الشرك، والله تعالى يقول: ﴿ وأنَّ المسَاجِدَ لله فَلاَ تَدْعُوا مَعَ الله أَحَداً ﴾. «الجن: ١٨»

فالمساجد في الإسلام ليست مقابر لدفن الموتىٰ، بل هي للصلاة ولعبادة الله وحده؛ والرسول ﷺ يقول: (لا تُصَلُّوا إلى القُبور ولا تَجلِسوا عليها) «مسلم»

فاحذر أخي المسلم أن تصلِّيَ إلىٰ القبر أو تجلس عليه.

أوليــاء الرحمٰن

١- قال الله تعالىٰ : ﴿ ألا إنَّ أوْلِـياءَ الله لاَ خَـوْفٌ عَـلَيْـهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْـزَنُون الَّـذِينَ آمَـنُوا وكَانُـوا يَـتَّـقُـون ﴾ . «يونس : ٦٢»

٢- وقال تعالى : ﴿ إنْ أوْلِـيَاؤهُ إلاّ المُتَّـقُـون ﴾ . «الأنفال : ٣٤»

٣- الولي في القرآن هو المؤمن الذي يتقي الله ولايعصيه ويدعوه، ولا يشرك به؛ وقد حذَّر الله مِن معاداته فقال الله في الحديث القدسي :
(مَن عـادىٰ لي وَلـيّاً فـقـد آذَنْـتُـهُ بالحَـرْب) . «رواه البخاري»
وقد تظهر لهذا الولي المؤمن الموحِّد الطائع كرامة يكرمه الله بها عند الحاجة ، فالولاية ثابتة والكرامة ثابتة في القرآن الكريم ، والدليل علىٰ ذلك قصة مريم عليها السلام حينما كانت تجد الرزق والطعام في بيتها ، حيث قال الله تعالىٰ في حقها :
﴿ كُلَّمَـا دَخَـلَ علَيْـها زَكـرِيَّـا المِحْـرَابَ وَجَـدَ عِنْـدَها رزْقـاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أنَّـىٰ لَكِ هٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْـدِ الله إنَّ الله يَـرْزُقُ مَنْ يَـشَـاءُ بِغَـيْـرِ حِـسَاب ﴾ . «آل عمران : ٣٧»
فالولاية ثابتة ولٰكن لا تكون إلا لِمؤمن تقي طائع موحِّد ، ولا يمكن أن تكون لرجل فاسق يترك الصلاة ، أو يصرُّ علىٰ الذنوب؛ ولا يُشترط ظهور الكرامة على يديه حتىٰ يكون وليّـاً، فالقرآن لم يشترطها ، بل اشترط الإيمان والتقوىٰ فقط .

أوليـاء الشيـطـان

ولا يمكن أن تظهر الكرامة على يد فاسق يجاهر بالمعاصي أو يستغيث بغير الله وهو مِن عمل المشركين، فكيف يكون من الأولياء المكرمين؟ .

كما أن الكرامة لا تكون بالوراثة عن الإجداد، بل تكون بالإيمان والعمل الصالح، وما يظهر على يد بعض المبتدعين مِن ضرب السيف لأنفسهم ، أو أكل النار فهو مِن عمل الشياطين والمجوس، وهو استدراج لهم ليسيروا في ضلالهم ؛ قال الله تعالىٰ :

﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَـهُ شَيْطَانـاً فَهُوَ لَـهُ قَرِين ﴾

« الزخرف : ٣٦ »

ومثل هذا العمل لا يُقرُّه الإسلام، لأنه لم يعمله رسول الله وصحابته مِن بعده ، وهو من البدع المحدثة التي قال عنها الرسول ﷺ :

(إيَّاكم ومحدَثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ محدثَةٍ بِدْعَة، وكلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة) .

« رواه الترمذي وقال حسن صحيح »

والكفار في الهند يفعلون أكثر من ذلك، كما نقل ذلك ابن بطوطة في رحلته ، وحكىٰ عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية في كتبه مثل : (مجموع الفتاوىٰ) ، فهل نقول عنهم : أوليـاء لهم كرامات ؟!! بل هٰذا مِن عمل الشياطين وهو استدراج لصاحبه ليزيد في الضلالة كما قال الله تعالى :

﴿ قُلْ مَنْ كانَ فِي الضَّـلالَةِ فَلْيَمْـدُدْ لَـهُ الرَّحْمٰنُ مَـدّاً ﴾ . « مريم : ٧٥ »

قصة الخَضِر

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية إن قصة الخَضِر مع موسىٰ عليهما السلام ليس فيها خروج عن الشريعة، وإن أمثال هٰذه القصة تقع كثيراً للمؤمنين، كأن يختص أحد شخصين بعلم بسبب يبيح له ذلك والآخر لا يعلم ذلك السبب، وإن كان أفضل منه.

وضرب لذلك مثلاً بشخصين دخلا بيتاً لشخص ثالث، وكان أحد الشخصين يعلم طِيب نفس صاحب البيت بالتصرف فيه إما بإذن لفظي له أو بغير ذلك، والآخَر لا يعلم ذلك. فالأول إن تصرف في البيت فقد أتىٰ مباحاً في الشريعة والآخر لا يتصرف فيه لهٰذا السبب أي حتى لا يأتي محظوراً في الشريعة؛ فخرْق السفينة وقتْل الغلام وغيره كان مِن هٰذا الباب.

« انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج ١١ / ٤٢٦، بتصرف أحمد بناني »



رأي ابن تيمية في قصة الخَضِر

وردت قصة الخَضِر وموسىٰ عليهما السلام في القرآن الكريم في سورة الكهف وقد أوضَحَتْ هٰذه القصة معنى تفرّد الله عز وجل بالمُلْك والحِكْمة والإرادة والعِلم وأنه ما مِن مَلَك مُقرَّب ولا نبي مُرسل إلا وعِلْمه محدود ومُلكه محدود وإرادته محدودة، فلا يجوز ولا يمكن لأحد أن يتعدىٰ حدود ما أعطاه الله مِن عِلم أو مُلك أو إرادة ، وأن لله عز وجل أن يهب مَن يشاء ما يشاء مِن ذلك كيف ومتىٰ شاء .

أولاً: القياس الذي جاء في كلامهم بين ما يجب للشيخ منهم وما جاء في قصة الخضر قياس مع الفارق كما تقدم فإن الشيخ الذي أوجبوا على المريد طاعته شخص عادي مكلَّف بما جاء به النبي ﷺ .

أما الخضر عليه السلام فهو شخص منحه الله تعالى من عنده رحمة وعلَّمه مِن لَدُنْه عِلماً ـ كما جاء في النص الكريم ـ فأين شيخ الصوفية مِنْ هٰذا الشخص الذي ميّزَه الله تعالى وأنزل فيه آية في كتابه الكريم ، وأخبر أنه غير مأمور بشريعة موسى ، بل عِلمه مِن الله مباشرة .

ثانياً: بعد هٰذا الفَرق العظيم بين الخضر عليه السلام وبين غيره مِن المشائخ ، فإن موسى عليه السلام لم يكن مطيعاً للخَضر طاعة عمياء، كما هو مطلوب مِن المريد في التصوف، بل كان يعارضه

ويناقشه فيما جاء ليتعلَّمَه منه. كما جاء في الآيات المذكورة فعارضه في خَرْق السفينة: ﴿ أخَرَقْتَها لِتُغرِقَ أهْلَها؟ لقدْ جئتَ شَيئاً إمْراً ﴾.
وعارضه وناقضه في قتْل الغلام:
﴿ أقَتَلْتَ نفساً زَكِيَّة بغير نَفْس لقد جئتَ شيئاً نُكراً ﴾.
وعارَضه أيضاً في نقل الجدار في قرية أبىٰ أهلها أن يضيفوهما: ﴿ لَوْ شِئتَ لاتَّخَذْتَ عليهِ أجْراً ﴾.

وبعد هٰذا فلم يترك موسى الخضر حتى نبَّأه بالحكمة فيما أتاه من أعمال.. فهل كان موسىٰ في هٰذه القصة مطيعاً للخضر الطاعة العمياء التي يطلبها الصوفية مِن المريد؟ فأين الحجة في طلب الطاعة العمياء مِن المريد للشيخ في هٰذه القصة؟ إلا إذا قلنا إن موسىٰ عليه السلام كان مخطئاً في كل ما فعله مع الخضر عليهما السلام؛ وهٰذا ما لَمْ يقله القرآن وحاشا أن يتكرر الخطأ مِن النبي بهذه الصورة إن كان ذلك في أول صحبتهما:
﴿ إنَّكَ لَنْ تستطيعَ معيَ صَبراً ﴾.

أي إنه كان يعرف أن موسىٰ عليه السلام لِتَمَسُّكِهِ بالشرع الذي أنزل الله إليه سيندفع إلى إنكاره ما يراه منكراً ولو صدر عن الخضر نفسه لأن هذا الوضع السليم للمؤمن الحق.

ولكن حين يعرف سرَّ العمل الذي أنكره ويعلم أنه صادر من الله تعالى لا مِن عبد مثله لا يملك لنفسه ضراً ولا رشداً.

هنا يرتفع الإنكار ويحل محله الاستسلام والطاعة.

لذلك قال الخضر لموسى عليهما السلام في نهاية صحبتهما :
﴿ ومَا فَعَلْتُـهُ عَنْ أمْرِيْ ذلكَ تأويلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْـهِ صَبراً ﴾ .

وبعد هٰذا الشرح يتضح لنا أن القصة فيها حجة على الصوفية لا لها وأن طرد كلام الصوفية يؤدي إلى التسليم بأن الشيخ والولي يجوز أن يأتي بما ينكره الشرع ويجب على المريد حينئذ أن يتبعه في ذلك بدون إنكار عليه. وهذا غاية الفساد والضلال والعياذ بالله مع أن القصة ليس فيها خروج على الشريعة. كما بيَّن الشيخ ابن تيمية، وأن أمثالهما يحدث كثيراً لمجرد اطلاع شخص على أمْر مِن الأمور دون أن يطَّلِع عليه الشخص الآخر. وإن كان ذلك أمراً معلوماً عند بقية الناس.

وأما بالنسبة للشرع الإسلامي اليوم فليس يخفى على عامَّة المؤمنين وخاصتهم شيء منه، وإن جَهِلَه شخص أو أكثر فلاعِبرة بإنكارهم إن أنكروا ما يعلمه عامة المؤمنين وعلماؤهم مِن الدِّين .

أما أن يأتي شخص أو جماعة، ما ينكره جماعة المسلمين وعلماؤهم متأوِّلين شيئاً مِن الدِّين أو مُدَّعين أنَّ عندهم عِلماً خاصاً بهم دون جماعة المسلمين فهٰذا لا يُسلَّم لهم إطلاقاً فقد ثبتت قواعد الدِّين، وخُتمت الرسالات برسالة محمد ﷺ وكمُلت الرسالة في حياته ﷺ ، كما قال الله تعالى : ﴿ اليَومَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينَـكُمْ وأتمَمْتُ عَلَيْـكُمْ نِعْمَتِـيْ وَرَضِيْتُ لَـكُمُ الإسلامَ دِيْنَـاً ﴾ « المائدة : ٣ »

«أنظر: أحمد بناني، موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية، ٢١٦-٢٢٢ بتصرف»

العلماء يرجحون نبوة الخضر

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره:
(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) (جـ ٤/ ١٥٨) ما نصه:

والعلماء مختلفون في الخضر: هل هو نبي، أو رسول، أو ولي؟..
ومن أظهر الأدلة في أن الرحمة والعلم اللدني اللذَين امتن الله بهما على عبده الخضر عن طريق النبوة والوحي قوله تعالى:

﴿ وما فعلتُهُ عن أمْري ﴾ أي وإنما فعلته عن أمر الله جل وعلا، وأمْر الله إنما يتحقق عن طريق الوحي إذ لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه إلا الوحي من الله عز وجل ولا سيما قتل الأنفس البريئة في ظاهر الأمر، وتعييب سفن الناس بخرقها، لأن العدوان على أنفس الناس وأموالهم لايصح إلا عن طريق الوحي من الله تعالى..
إلى أن قال: وبالجملة فلا يخفى على من له إلمام بمعرفة دين الإسلام أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه وما يتقرب إليه مِن فِعْل أو تَرْك إلا عن طريق الوحي، فمن ادَّعىٰ أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل وما جاؤوا به ولو في مسألة واحدة، فلا شك في زندقته، والآيات والأحاديث الدالة على هٰذا لا تحصى..
وبذلك تعلم أن ما يدعيه كثيرمن الجهلة المدعين للتصوف مِنْ أن لهم ولأشياخهم طريقاً باطنة توافق الحق عند الله ولو كانت مخالفة لظاهر الشرع كمخالفة ما فعله الخضر لظاهر العلم الذي عند موسى

زندقة وذريعة إلى الانحلال بالكلية من دين الإسلام ويدعوى أن الحق في أمور باطنة تخالف ظاهره، إلى أن قال: وبهذا كله تعلم أن قتل الخضر للغلام، وخرقه للسفينة، وقوله:

﴿ وما فعلتُهُ عن أمْري ﴾ دليل ظاهر على نبوته.

وعزا الفخر الرازي في تفسيره القول بنبوته للأكثرين؛ ومما يستأنس به للقول بنبوته تواضع موسى عليه الصلاة والسلام له في قوله:

﴿ هل أتَّبِعُكَ علىٰ أنْ تُعَلِّمَنِيْ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدَاً ﴾ وقوله: ﴿ سَتَجِدُنِي إنْ شَآءَ الله صَابِراً ولاأعْصِي لكَ أمْرَاً﴾ مع قول الخضر له: ﴿ وكيفَ تَصْبِرُ علىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرَاً ﴾.

وذَكَرَ القرطبي في تفسيره (جـ١١/ ١٦- ٢٨) فقال:

والخضر نبي عند الجمهور، وقيل هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته، لأن مواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي.

ثم قال عند قوله تعالى: ﴿ وما فعلته عن أمري ﴾:

يدل علىٰ نبوته، وأنه يُوحىٰ إليه بالتكليف والأحكام، كما أوحىٰ للأنبياء عليهم الصلاة والسلام غير أنه ليس برسول، والله أعلم.

بقي أن نذكر أن بعض الصوفية يعتقدون أن الخَضِر عليه السلام حيٌّ.

أقول: إن هذا الاعتقاد باطل لا دليل عليه، فالله تعالى يخاطب رسوله محمداً ﷺ بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أفإنْ مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ﴾ «الأنبياء: ٣٤»

والخَضِرُ مِنَ البَشَر لا يُخَلَّد.

هل نحتفل بالمولد النبوي؟

إنَّ مِن أوجبِ ما يجبُ على المؤمن اعتقاده، هو الإيمان الجازم بأن نبينا محمداً ﷺ قد أكمل الله لنا هٰذا الدين ببعثته، وأتم علينا بإرساله نعمته، وأنه لم يترك لبشر مجالاً أن يزيد أو ينقص في دينه بعد وفاة المصطفى ﷺ . قال الله تعالى: ﴿ **اليَومَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينكُمْ وأتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً** ﴾. « المائدة : ٣ »

وقال ﷺ: (**تركتُكم علىٰ البيضَـاء ليـلُها كنهارِها لا يَزيغُ عنها بعدي إلا هالك**). « صحيح رواه ابن ماجة »

لذلك فإنه كان لزاماً وحتماً على كل مؤمن يبغي النجاة ويطلب سبيلها أن يقصر نفسه وعبادته على ما شرعه الله على لسان رسوله ﷺ ، وأن لا يرضىٰ لنفسه ولا لغيره من البشر ـ كائناً مَن كان ـ أن يشرع في دين الله أو يستحسن بعقله وهواه ما لم يأذن به الله .

فطالبُ الحقِّ محبُّ السُّنة لا يعمل عملاً مِن الأعمال احتفالاً أو مناسبة أو عبادة أو غيرها إلا على الوجه الذي يأذن الله به، وخاصة إذا كان يقصد التعبد وطلب الأجر.

ومن هنا نفهم مقصود العلماء بقولهم « العبادات توقيفية » لامجال للعقل في تشريعها أو استحسانها أو تقبيحها.

وإنْ أردت الأدلة على ذلك فهي أكثر مِن أن تحصر .

وإليك أمثلة منها ، فمن ذلك قول المولىٰ عزَّ وجل:

﴿ ومَا اختَلَفتُمْ فيهِ مِنْ شَيءٍ فَحُكْمُهُ إلى الله ﴾ . «الشورى: ١٠»

وقوله تعالىٰ: ﴿ قُل إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُم الله ويَغْفِر لكُمْ ذُنُوبَكُم ﴾ . «آل عمران : ٣١»

وقول النبي ﷺ: (مَنْ أحدَثَ في أمرِنا هٰذا ما ليْسَ مِنهُ فهُوَ رَدٌّ). «متفق عليه»

وقوله ﷺ: (وإيَّاكُم ومُحْدَثاتِ الأمور فإنَّ كُلَّ مُحْدَثةٍ بِدعة وكلَّ بدعة ضلالة). «صحيح رواه أبو داود وابن ماجة»

وأرجوأن تقف عند هٰذه العبارة التشريعية الدقيقة مِمَّن لاينطق عن الهوى بل هو وحي يُوحىٰ: (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) ولا يخفىٰ عليك أن(كُلّ) مِن ألفاظ العموم، وتشمل كل أنواع البدع دون استثناء.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: (اِتَّبِعُوا ولا تَبتدِعوا فقد كُفِيتُم) .

أخي المؤمن . . . إذا تقرر لديك ما سبق وسلَّمت لهٰذا المفهوم الاعتقادي تسليماً صادقاً أمكنك أن تعرض كل قول أو عمل تعبدي علىٰ هٰذا الميزان. هل هو مشروع أم محدَث ؟ هل هو سنة أم بدعة ؟

ولنأخذ مثالاً علىٰ ذلك الاحتفال بذكرىٰ مولد المصطفى ﷺ ، حبيبنا وإمامنا وقدوتنا وقائدنا إلىٰ صراط الله المستقيم، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، وقائد الغر المحجلين المبعوث إماماً ورحمة للعالمين.

وسنناقش هذه القضية بعَدلٍ وإنصاف وتجرد عن كل هوىٰ ومقررات بشرية سابقة، ونزنها بميزان الشرع ونعرضها على كتاب الله تعالىٰ وسنة نبيه ﷺ، القائل :

(**فإنَّ خير الحديثِ كتابُ الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**) . « رواه مسلم »

والذي أوصانا بخبره أن نستمسك بهدي خير الناس وأزكاهم حين قال :

(**خيرُ الناسِ قَرني ثم الَّذينَ يَلونَـهُم ثم الَّذين يَلونَـهُم**) . « متفق عليه »

والله المسؤول أن يرينا الحقَّ حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه .

نشـأة الاحتفال بمولد النبي ﷺ

ذَكَـرَ الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ١٧٢) أن الدولة الفاطمية -العبيدية المنتسبة إلى عبيد الله بن ميمون القداح اليهودي- والتي حَكَمت مصر من [٣٥٧هـ - ٥٦٧هـ] ، أحدثوا احتفالات بأيام كثيرة ومنها الاحتفال بمولد النبي ﷺ .

ونص عليه المقريزي في كتاب المواعظ والاعتبار [١/ ٤٩٠] ، والشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية في كتاب : (أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة والأحكام)[ص٤٤-٤٥] ووافقهم الشيخ علي محفوظ في كتابه الجيد:

(الإبداع في مضار الابتداع) [ص٢٥١] وغيرهم كثير .

إذن فإن أول مَن شرع هٰـذا الاحتفال هم الزنادقة العبيديون الرافضة أحفـاد عبـد الله بن سـبأ اليهودي ، ولا يمكن أن يفعلوا ذلك محبة في الرسول ﷺ بل لغرض آخر خفي .

حكم الإسلام في الاحتفال بالمولد

مِن خلال ما سبق تقريره مِن أن الخير كل الخير في اتباع هدي النبي ﷺ والقرون المفضَّلة وأن مَن تقرب إلى الله بعبادةٍ مِن العبادات لَمْ تكُن في تلك الحقبة المباركة والعصور الفاضلة فعبادته مردودة عليه، يتحمل وزرها وإثمها ولو أخلص فيها وبذل كل جهده وقوته.

والاحتفال بالمولد النبوي الشريف كما رأيت أخي المبارك:

١ـ لم يفعله رسول الله ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة رضوان الله على الجميع ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضَّلة وهم أعلم الناس بالسنة وأكمل حباً لرسول الله ﷺ ومتابعةً لشرعه ممَّن بعدهم ولو كان خيراً لَسَبقونا إليه.

٢ـ كما أنكَ علمت أن أوَّل مَن عمله هم الفاطميون والزنادقة في القرن الرابع الهجري.

٣ـ فيه مشابهة للنصارىٰ الذين يحتفلون بميلاد المسيح عليه السلام، وقد نُهينا عن مشابهتهم وتقليدهم في أعيادهم.

٤ـ إنَّ إحداث مثل هٰذا المولد وغيره من الموالد يُفهَم منه أن الله سبحانه لم يُكمل الدِّين لهٰذه الأمَّة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يُبلغ ما ينبغي للأُمة أن تعمل به وأن القرون المفضَّلة لم يَبلغوا مِن تعظيم رسول الله ﷺ ومحبته وتقديره حق قدره

ما صنعه هؤلاء المتأخرون، ولا يقول بهذا القول أو يعتقد ذلك إلا زنديق مارق عن دين الله، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

(ما بَعثَ الله مِن نبيٍ إلا كانَ حَقّـاً عليهِ أنْ يدُلَّ أمّتَـهُ على خير ما يُعلَمه لهم). «رواه مسلم»

ونبينا محمد ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وأكملهم بلاغاً ونصحاً، ولو كان الاحتفال بالمولد مِن الدِّين لبَـيَّـنه الرسول ﷺ للأُمَّة، أو فعلَهَ في حياته، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم.

ولا يقول قائل إن الرسول ﷺ لم يفعله تواضعاً منه عليه الصلاة والسلام، فإن هٰذا طعن فيه عليه الصلاة والسلام.

إذ مقتضى ذلك أنه قَصَّرَ وكَتَمَ شيئاً مِن الخير عن أمته وحاشاه عن ذلك بأبي وأمي هو عليه الصلاة والسلام، وفيه طعن لصحابته - الذين زكَّاهم ربهم - بأنهم قَصَّروا في الاحتفال به أو لم يفطنوا إلى هٰذا العمل المبارك، أنعِم بهم مِن رجال وأكرِم بهم من أتباع.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه:

(كل عبادة لم يَـتَعبَّدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تتعبدوها، فإن الأول لَمْ يَـدَع للآخر مقالاً).

فاتقوا الله معشر القراء، وخُذوا طريق مَن كان قبلكم.

٥ـ إحياء هذه الليلة ليس دليلاً على محبته عليه الصلاة والسلام، فكم ترىٰ وتسمع ممَّن يحيون هٰذه الاحتفالات وهم أبعد الناس عن

هدي المصطفى عليه الصلاة والسلام وما أكثر من يحييها مِن الفسقة والفجار ممَّن تعاملوا بالربا وتهاونوا في الصلاة وضيعوا السنن الظاهرة والباطنة وعُرفوا بكثرة المعاصي والآثام وارتكاب الفواحش والموبقات.

ودليل المحبة الصادقة لسيدنا وحبيبنا محمد ﷺ كما يريدها منا مولانا تبارك وتعالى بقوله:

﴿ قُل إنْ كنتُم تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعُوني يُحْبِبْـكُمُ الله .. ﴾. «آل عمران»

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

(كُلُّكم يَدخُل الجنَّة إلا مَن أبىٰ قالوا: ومَن يأبىٰ يا رسول الله ؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومَن عصاني فقد أبىٰ). «رواه البخاري»

فمحبته الصادقة في اتباعه والتزام هديه الظاهر والباطن وسلوك طريقه، والاقتداء به في مظهره ومخبره، في أقواله وأعماله، في سَمته وأخلاقه، وقد قيل:

لو كانَ حُبُّكَ صادِقاً لأطعتَه　　　إنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يحبُّ مُطيع

٦ـ ومع هٰذا كله فإن كثيراً مِن علماء العصور المتأخرة ذكروا مفاسد عظيمة ومنكرات فظيعة تحدث في مثل هذه الموالد، بل اعترف بذلك كل مَن شارك فيها وحضرها، ثم وفقه الله للبعد عنها وتركها من المعاصرين (والأشرطة تشهد بذلك)، ومن ذلك التلفظ ببعض الشركيات والغلو في رسول الله ﷺ وإنشاد بعض

الأبيات المحرمة وطلب المدد منه والاستعانة به، واعتقاد أنه يعلم الغيب كما في قصيدة البوصيري التي هي من أسس تلك الليالي:

يا أكرَمَ الخلْقِ ماليْ مَن ألوذُ بهِ سِواكَ عندَ حُدوثِ الحادِثِ العَمِمِ
فإنَّ مِن جُودكَ الدنيا وضَرَّتَها ومِن عُلومِكَ علمُ اللوحِ والقلم

ويحصل فيها اختلاط الرجال بالنساء، واستعمال الأغاني والمعازف وشرب الدخان والنظر إلى المردان والغُلو في الأولياء وحصول كثير من المنكرات مما يصعب حصرها لتفاوتها من بلد إلى بلد، حتى فضَّل بعضهم هٰذه الليلة على ليلة القَدر، بل قد وصل الحال ببعضهم إلى تكفير مَن ترك الاحتفال بالمولد.

٧ـ إن اليوم الذي وُلِد فيه رسول الله ﷺ هو اليوم الذي توفي فيه وهو يوم الثاني عشر من ربيع الأول كما دلَّت عليه كتب السِّيَر فليس الفرح فيه بأَوْلىٰ من الحُزن فيه، ولو كان الدِّين بالرأي لكان اتخاذ هٰذا اليوم مأتَماً ويوم حزن أَوْلىٰ مِن اتخاذه يوم عيد واحتفال .



شُبهات وَرَدّها

تَعلَّق أصحاب المولد بشُبهات واستدلوا بأدلة، ومِن أبرزها مايلي:

١ـ قوله تعالى: ﴿ قُل بِفَضْلِ الله وبِرَحْمَتِهِ فبِذلكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيرٌ مِمَّا يَجْمَعُون ﴾. «يونس: ٥٨»

فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة والنبي ﷺ أعظم رحمة لأن الله تعالى يقول: ﴿ ومَا أرسَلْنَاكَ إلا رَحْمَةً لِلعَالَمِين ﴾. «الأنبياء: ١٠٧»

والجواب:

※ استدلالهم بهذه الآية استدلال في غير محله، وحمل للآية على غير مُرادها، وإثبات وجه لم يثبت عن أعلم الناس بكتاب الله وأفهمهم لمراد الله وأبصرهم بنصوص القرآن، ومخالفة لقواعد الشريعة في أخذ معاني القرآن واستنباط معانيه مِن فهم السلف الصالح والقرون المفضَّلة وقد ذَكَرَ ابن القيِّم رحمه الله أن أقوال السلف في المراد بهذه الآية أن فَضْل الله ورحمته هما القرآن والسنة.

٢ـ ما ثبت في الصحيحين مِن أنَّ النبي ﷺ قدم المدينة فوجَد اليهود يصومون عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجَّى فيه موسى فنحن نصومه شكراً لله عزوجل، فقال رسول الله ﷺ: (**فأنا أحقُّ بموسى عليه السلام منكم فصامه وأمَرَ بصيامه**)، قالوا: وأيُّ نعمة أعظم مِن النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا ينبغي أن نشكر الله على هذه النعمة

بالاحتفال بها في ذلك اليوم .

والجواب :

* استدلالهم بحديث صوم يوم عاشوراء استدلال باطل وقياس فاسد إذ إننا نشكر الله على نعمة بعثة هذا النبي لا على مولده ، أضف إلى ذلك أن صوم يوم عاشوراء إنما شرع واستحب بسنة المصطفى ﷺ ، وهو لم يشرع لنا في سنته أن نحتفل بيوم مولده .

٣ـ ما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ عقّ عن نفسه بعد النبوة، مع أن جده عبد المطلب عق عنه في يوم سابع ولادته ، فيحمل هذا التكرار الذي فعله النبي ﷺ على إظهار الشكر لله على إيجاده رحمة للعالمين ، كما أنه تشريع لأُمته لِتَسُنه مِن بعده .

والجواب :

* إن هٰذا الحديث جعله الإمام مالك من الأباطيل كما نقله عنه ابن رشد في كتاب العقيقة من كتاب المقدمات الممهدات ، وقد نقل ضعفه الأئمة عبد الرزاق وأبو داود عن الإمام أحمد وابن حبان والبزار وغيرهم لضعف عبد الله بن المحرر أحد رواته، وعلى فرض صحته فلا دليل فيه .

٤ـ ما روي عن عروة أنه قال في ثويبة مولاة أبي لهب التي أعتقها لتبشيرها إياه بمولد النبي ﷺ ثم أرضعته عليه الصلاة والسلام، أنه رُؤيَ بعد موته في النار ، وسئل عن حاله؟ فقال : إنه في النار .

إلا أنه يُخفَّف عنه كل ليلة إثنين لإعتاقه ثويبة عندما بشَّرته بولادة النبي ﷺ .

قالوا: فإذا كان هٰذا في حق أبي لهب وهو كافر مِن أهل النار، فما حال المسلم الموحِّد الذي يُسرُّ بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته .

والجواب :

* إن هٰذا الحديث مرسل كما رواه البخاري وذكره الحافظ في الفتح ، كما أنه رؤيا منام لا حُجَّة فيها، وهو مخالف لظاهر القرآن حيث جاءت الآيات بأن الكافر لا ينفعه في آخرته أي عمل صالح عمله :
﴿وقَدِمْنَا إلى مَاعَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءاً مَنْثُوراً﴾ «الفرقان: ٢٣»
وأنه إنما يلقى ثوابه في دنياه .

٥ـ قالوا إن الاحتفال إذا لم يقتصر فيه على الثاني عشر من ربيع الأول ولا على ربيع الأول وحده ولا على وقت معين بل وقع في غير ذلك من الأوقات فلا حرج على المحتفل به .

والجواب :

* هٰذه الدعوىٰ باطلة وقول مردود لأن العبادات والتشريع الأصل فيها أنها توقيفية، ولا يجوز التعبد لله بعبادة معينة وكيفية مخصوصة ما لم يرد بها الشرع حتى ولو كانت لذكر الله أو قراءة سيرة رسول الله ﷺ، والواقع يثبت أن هذه الموالد والجلسات تكثر في شهر ربيع الأول ، بل ويرحل لها .

٦ـ إن المولد اجتماع ذِكر وصدقة ومدح وتعظيم للجناب النبوي وهذه الأمور مطلوبة شرعاً وممدوحة وجاءت الآثار الصحيحة بها والحَّت عليها.

والجواب :

* نعم إن الأحاديث جاءت بالحث على ذكر الله والصدقة وغيرها ولكن لم يرِد الندب إلى هذا الاجتماع المخصوص بهذه الهيئة المخصوصة وفي وقت مخصوص ولم يَرد الحث على ما يقال في مثل هذه الليالي من أذكار وأدعية لا أصل لها في الشرع ولا دليل عليها من الوحي، أو تلك الأبيات التي تحمل الغلو والباطل بعينه.

٧ـ إن رجلا سأل النبي ﷺ عن صوم يوم الاثنين فقال له:

(هُوَ يومٌ وُلِدتُّ فيهِ، وفيهِ أُنزِلَ عَلَيَّ). «رواه مسلم»

فالنبي ﷺ عظَّم يوم الاثنين لأنه ولد فيه، ثم عيَّنوا يوم ولادته وهو الثاني عشر من ربيع الأول بالتعظيم والاحتفال.

والجواب :

* إن المطلوب في يوم الاثنين مِن كل أسبوع هو صيامه لا أكثر، ودون تقييده بسنة أو شهر، فموافقة النبي ﷺ هي في صيام يوم الاثنين بإطلاق دون تقييده بتاريخ معين، بينما هؤلاء يخصصونه يوماً واحداً في السنة من شهر ربيع الأول، زِد على ذلك أنهم لا يُعظمونه بوصية النبي ﷺ بصيام هذا اليوم مع ما فيه مِن فضل

حيث تُعرض فيه أعمال العباد على الله ويفضَّل أن يكون المرء حينئذ صائماً، لكنهم يُعظمونه بالأكل والشرب والطرب على أهون الأحوال ومعلوم لديك أن العبادات توقيفية فتخصيص يوم بعبادة أو قربة مخصوصة يحتاج إلى دليل شرعي ولا دليل على هذه البدعة كما سبق. ولا تنس ما قد ذكرناه سابقاً مِن أنَّ يوم الثاني عشر مِن ربيع الأول هو يوم وفاة النبي ﷺ وانقطاع الوحي مِن السماء على المشهور عند علماء السلف . فقل لي بِربِّك هل نحتفل بوفاة النبي ﷺ أم بولادته ؟!

وهل يمكن الجمع بينهما ؟!.

* **ختاماً** : لا أحسب إيمانك وتقواك واتباعك لحبيبك محمد ﷺ وتقديم شرعه على هواك ورأيك وآراء الناس وأقوالهم ، لا أحسب ذلك كله إلا يقول لك : **لا تحتفل**.(١)

---

(١) الموضوعات حول الاحتفال بالمولد النبوي من منشورة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمدينة النبوية.

ماذا تعرف عن قصيدة البُردة ؟

هٰذه القصيدة للشاعر البوصيري مشهورة بين الناس، ولا سيما بين الصوفيين ، ولو تدبَّرنا معناها لرأينا فيها مخالفات للقرآن الكريم ، وسنة الرسول ﷺ : يقول في قصيدته :

١- يا أكرَم الخَلق مالي مَن ألوذُ بـه   سِواكَ عند حلول الحادثِ العَمِم

يستغيث الشاعر بالرسول ﷺ ويقول له : لا أجد من ألتجىء إليه عند نزول الشدائد العامة إلا أنت ، وهذا من الشرك الأكبر الذي يُخلِّد صاحبه في النار إن لم يتبْ منه ، لقول الله تعالىٰ :

﴿ ولا تَـدْعُ مِنْ دُونِ الله مَـا لاَ يَـنْـفَـعُكَ ولاَ يَضُـرُّكَ فإنْ فَعَـلْتَ فإنَّـكَ إذاً مِنَ الظَّالِمين﴾ .   «يونس : ١٠٦»

[أي المشركين] ؛ لأن الشرك ظلم عظيم .

وقوله ﷺ : (مَن مات وهو يدعو مِن دونِ الله نِدّاً دخلَ النّار) .

[الـنِّـد : المثيل] .   « رواه البخاري »

٢- فإنَّ مِن جـودك الدنيـا وضرَّتها   ومِن علومك علم اللوح والقلم

وهٰذا تكذيب للقرآن الذي يقول الله فيه :

﴿ وإنَّ لَـنَـا لَلآخِـرَةَ والأُولىٰ ﴾ .   « الليل : ١٣ »

فالدنيا والآخرة هي ملك لله ومِن خلْقه، وليست مِن جود الرسول ﷺ وخلقه ، والرسول ﷺ لا يعلم ما في اللوح المحفوظ إذ لايعلم ما فيه إلا الله وحده، وهٰذا إطراء ومبالغة في مدح

الرسول ﷺ حتىٰ جعل الدنيا والآخرة مِن جُود الرسول وأنه يعلم الغيب الذي في اللوح المحفوظ بل إن ما في اللوح مِن علمه .

وقد نهانا الرسول ﷺ عن الإطراء فقال :

(لا تُطْرُوني كمَا أَطْرَتِ النَّصَارىٰ ابنَ مَرْيَم ، فإنَّما أنا عبْد فقولوا عبدالله ورسوله). « رواه البخاري »

٣- ما سامني الدَّهر ضَيماً واستجرت به إلا ونلت جواراً منه لم يضم

يقول : ما أصابني مرض أو هَمٌّ وطلبت منه الشفاء أو تفريج الهَمِّ إلا شفاني وفرَّج همي .

وقد جاء في القرآن عن إبراهيم عليه السلام قوله عن الله تعالىٰ :

﴿ وَإِذا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِين ﴾ . « الشعراء : ٨٠ »

والله تعالىٰ يقول :

﴿ وَإنْ يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إلا هُو ﴾ . « الأنعام : ١٧ »

والرسول ﷺ يقول : **(إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنت فاستعِن بالله).** « رواه الترمذي وقال حسن صحيح »

٤- فإنَّ لِيْ ذِمَّةً مِنهُ بتسْمِيَتي محمداً وهو أوفى الخَلْق بالذِّمَمِ

يقول الشاعر : إن لي عهداً عند الرسول أن يدخلني الجنة ، لأن اسمي محمد ، ومن أين له هذا العهد؟ ونحن نعلم أن كثيراً مِن الفاسقين والشيوعيين مِن المسلمين اسمه محمد ، فهل التسمية بمحمد مبرر لدخولهم الجنة؟ والرسول ﷺ قال لبنته فاطمة رضي الله عنها :

(سَليني من مالي ما شئتِ لا أُغني عَنْكِ مِنَ الله شيئاً) «رواه البخاري»

٥- لعل رحمة ربي حين يقسمها   تأتي على حسب العصيان في القِسَمِ

وهذا غير صحيح ، فلو كانت الرحمة تأتي قسمتها على قدر المعاصي كما قال الشاعر لكان على المسلم أن يزيد في المعاصي حتى يأخذ من الرحمة أكثر ، وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل ولأنه يخالف قول الله تعالى : ﴿ إنَّ رَحمةَ الله قَرِيبٌ مِنَ المُحْسِنين ﴾ «الأعراف: ٥٦»
والله تعالى يقول : ﴿ وَرَحْمَتِيْ وَسِعَتْ كُلَّ شيَءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ والَّذِينَ هُمْ بآياتِنا يُؤْمِنُون ﴾ . «الأعراف: ١٥٦»

٦-وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة مَن   لولاه لم تخرج الدنيا مِن العَدَمِ

الشاعر يقول : لولا محمد ﷺ لما خلقت الدنيا ، والله يكذبه ، ويقول :
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا لِيَعْبُدُون ﴾ «الذاريات: ٥٦»
وحتىٰ محمد ﷺ خُلق لعبادة الله والدعوة إليها ؛ يقول الله تعالى :
﴿ واعبُدْ رَبَّكَ حتىٰ يَأتِيَكَ اليَقِين ﴾ . «الحِجر: ٩٩»
[اليقين : الموت]

٧- أقسمت بالقمر المنشق إن له   من قلبه نسبة مبرورة القسم

الشاعر يقسم ويحلف بالقمر ، والرسول ﷺ يقول :
(مَن حَلَفَ بغير الله فقد أشرك) . «حديث صحيح رواه أحمد»
ثم يقول الشاعر يخاطب الرسول قائلاً :

لو ناسَبَتْ قدرَه آياتُه عِظَمَاً أحيا   اسمُه حين يُدعى دارِسَ الرِّمَمِ

ومعناه : لو ناسبت معجزات النبي ﷺ قدره في العِظَم ، لكان الميت الذي أصبح بالياً يحيا وينهض بذِكر اسم الرسول ﷺ ، وبما أنه لم يحدث هٰذا فالله لم يعط الرسول ﷺ حقه من المعجزات ، فكأنه اعتراض على الله حيث لم يُعطِ الرسول ﷺ حقه ! وهٰذا كذب وافتراء على الله ، فالله تعالى أعطىٰ كل نبي المعجزات المناسبة له ، فمثلاً أعطىٰ عيسىٰ عليه السلام معجزة إبراء الأعمى والأبرص وإحياء الموتى ، وأعطىٰ لسيدنا محمد ﷺ معجزة القرآن الكريم ، وتكثير الطعام وانشقاق القمر وغيرها .

ومِن العجيب أن بعض الناس يقولون : إن هٰذه القصيدة تُسمَّىٰ بالبردة وبالبرأة ، لأن صاحبها كما يزعمون مرض فرأى الرسول ﷺ فأعطاه جبته فلبسها فبرىء من مرضه ! -وهٰذا كذب وافتراء- حتى يرفعوا مِن شأن هٰذه القصيدة ، إذ كيف يرضىٰ الرسول ﷺ بهذا الكلام المخالف للقرآن ولهديه ﷺ وفيه شرك صريح . علماً بأن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : ما شاء الله وشئت ، فقال له الرسول ﷺ :

(أجَعَلتَنِيْ لله نِداً ؟ قُلْ : ما شاءَ الله وحده) . « رواه النسائي بسند صحيح »

[النِّـد : المثيل والشريك] .

فاحذر يا أخي المسلم قراءة هٰذه القصيدة وأمثالها المخالفة للقرآن ، وهدي الرسول ﷺ . والعجيب أن في بعض بلاد المسلمين من يشيع بها موتاهم إلى القبور ، فيضمون إلى هذه الضلالات بدعة أخرى حيث أمر ﷺ بالصمت عند تشييع الجنائز ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ماذا تعرف عن كتاب دلائل الخيرات؟

أما بعد فإن كتاب: (دلائل الخيرات) لمؤلفه محمد بن سليمان الجزولي منتشر في العالم الإسلامي، ولا سيما في المساجد، يقرأه المسلمون كثيراً، بل ربما قدَّموه على قراءة القرآن، ولا سيما يوم الجمعة، وتتسابق المطابع في طبعه طمعاً في الربح المادي الدنيوي دون النظر إلى الخسارة الأخروية التي تلحق بأصحاب المطابع، والنسخة التي بين يدي مكتوب على ظهرها:

(الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع سنغافورة-جدة).

ولو تصفَّح المسلم الكتاب لوجد فيه مخالفات شرعية كبيرة:

١- يقول مؤلفه في المقدمة (ص ١٢):

(مستمِداً مِن حضرته العالية) ويقصد الرسول ﷺ.

أقول: هٰذا الكلام يخالف القرآن الكريم الذي لا يُجيز طلب المدد إلا مِن الله حيث يقول في محكم كتابه:

﴿ بلىٰ إن تَصْبِروا وتتقُوا ويأتوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الملـٰئِكَة مُسَوِّمِين ﴾. «ال عمران: ١٢٥»

وكلام (دلائل الخيرات) يخالف قول الرسول ﷺ:

(إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله) «حسن صحيح»

٢- ثم يقول في (حزب النصر لأبي الحسن الشاذلي) المكتوب على هامش (ص٧): (يا هو، يا هو، يا هو، يا مَن بفضله لفضله نسألك العَجَل)

أقول: إن كلمة (هو) ليست من أسماء الله الحسنى، بل هي ضمير يعود على الكلمة التي قبلها، ولذلك لا يجوز إدخال (يا) عليها كما يفعل الصوفية، وهي من بدعهم يزيدون في أسماء الله ما ليس منها.

٣- ثم يذكر المؤلف أسماء الرسول ﷺ ويعددها ويصفه بأسماء وصفات لا تليق إلا بالله عز وجل، علماً بأن أسماء الرسول ﷺ وردت في قوله ﷺ:

(**إنَّ لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قَدَمَيَّ، وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤوفاً رحيماً**). «رواه مسلم»

وعن أبي موسى الأشعري قال:

كان رسول الله ﷺ يُسمِّي لنا نفسه أسماء، فقال: (**أنا محمد، وأحمد، والمقفِّي، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة**). «رواه مسلم»

٤- وأسماء الرسول التي ذكرها كتاب (دلائل الخيرات) هي بدءاً من ص٣٧ إلى ص٤٧: (محيي، منج، ناصر، غوث، غياث، صاحب الفرَج، كاشف الكرب، شاف) (ص٣٨، ٤٠، ٤٣، ٤٧)

أقول: هٰذه الأسماء والصفات لا تليق إلا بالله، فالمحيي، والمنجي والناصر، والمغيث، والشافي، وكاشف الكرب، وصاحب الفرَج هو الله سبحانه وتعالىٰ، وقد أشار القرآن إلى ذلك فقال الله تعالىٰ علىٰ لسان إبراهيم عليه السلام:

﴿ الَّذي خَلَقَنيْ فَهُوَ يهدِينِ ، والَّذي هُوَ يُطْعِمُنيْ ويَسْقِين ، وإذا مَرِضتُ فهُوَ يَشْفِين ، والَّذي يُميتُني ثُمَّ يُحيين﴾ . «الشعراء:٧٨-٨١»
وقد أمر الله تعالىٰ رسوله أن يقول للناس:
﴿ قُلْ إني لا أمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً ولا رَشَداً ﴾ . «الجن : ٢١»
﴿ قُل إنَّمَا أنا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إليَّ أنَّمَا إلـٰهُكُمْ إلـٰهٌ وَاحِد ﴾ .
«الكهف: ١١٠»

أقول: إن كتاب (دلائل الخيرات) خالف القرآن ، وسوَّىٰ بين الله ورسوله في أسمائه وصفاته ، وهٰذا مِمَّا يتبرأ منه الرسول ﷺ ولو سمعه لحكم على قائله بالشرك الأكبر.

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال له: (ما شاء الله وشئت) فقال: (**أجَعَلْتَني لله نِدّاً، قُل ما شاء الله وحده**). «رواه النسائي بسند صحيح»
[النِّـد : المثيل والشريك]

وقال ﷺ : (**لا تُطروني كما أطْرَت النصارىٰ ابنَ مريم ، فإنَّما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله**). «رواه البخاري»
[الإطراء: المبالغة والزيادة في المدح، ويجوز مدحه بما ورد في الكتاب والسنة].

٥- ثم ذكر بعض أسماء الرسول ﷺ: (مهيمن، جبار، روح القدس)
(ص٤١-٤٢)

والقرآن ينفي عن الرسول ﷺ هٰذه الصفات فيقول له في القرآن:
﴿ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِر ﴾ . «الغاشية: ٢٢»

﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّار ﴾. «ق : ٤٥»

وروح القدس هو جبريل عليه السلام لقوله تعالى:

﴿ قُل نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَق ﴾. «النحل : ١٠٢»

٦- ثم ذكر صاحب الكتاب صفات لا تليق بمسلم فضلاً عن رسول هو من أفضل البشر، فيقول عن الرسول ﷺ :

(أحيد، أجير، جرثومة) (ص ٣٧-١١٥)

وفي أول الكتاب رفع المؤلف الرسول ﷺ إلى درجة الإلٰه حينما قال: (محيي، ناصر، شاف، منج...) إلى آخر الأوصاف التي وردت، وهنا يُنزل الرسولَ ﷺ إلى درجة (جرثومة، أجير)وهٰذا ما تقشعر له الأبدان ، وتشمئز منه النفوس، فهي في عرف الناس الشيء الضار الذي يكافح كجرثومة السّل وغيرها، وحاشاه ﷺ من ذلك ، وهو الذي نفع الأُمّة ، وبلّغ الرسالة، وأنقذ بتعاليمه الناس مِن الظلم والشرك والتفرقة إلىٰ العدل والتوحيد .

وإن أراد بالجرثومة الأصل والسبب فهو غير صحيح أيضاً.

٧- ثم بعد هٰذا الكلام الباطل يعود ليصف الرسول ﷺ بأوصاف كاذبة فيها الشرك الذي يُحبط العمل كقوله: (اللهم صَلِّ على مَن تفتقت مِن نوره الأزهار ، واخضرَّت مِن بقية مائه الأشجار). (ص : ٩٠)

أقول: فالله تعالىٰ الذي خلق الأشجار وهو الذي فتق أزهارها ، وأعطاها لون الخضرة.

٨- ثم يقول عن الرسول ﷺ (ص ١٠٠): (والسبب في كل موجود) إن كان قصده أن الموجودات خلقها الله لأجل محمد ﷺ فهٰذا كذب وضلال، لأن الله تعالىٰ يقول:

﴿ وَما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلا لِيَعْبُدُون ﴾. «الذاريات: ٥٦»

٩- ثم يقول المؤلف (ص١٩٨):

(اللهم صَلِّ على محمد ما سجعت الحمائم ونفعت التمائم).

وهٰذا الكلام يخالف كلام الرسول ﷺ الذي نهى عن التمائم فقال:

(مَن عَلَّقَ تَمِيمَةً فَقَد أشْرَك). «صحيح رواه أحمد»

[والتميمة: هي الخرزة أو الودعة أو غيرها تعلَّق على الولد، أو السيارة، أو البيت لرد العين وغيرها] وهي مِن الشرك:

وكلام المؤلف يخالف القرآن الذي يعتبر النفع والضر من الله فيقول:

﴿ وإنْ يَمْسَسْكَ الله بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَـهُ إلا هُوَ وإنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شـيءٍ قَدِير ﴾. «الأنعام: ١٧»

١٠- ثم يقول الجزولي: (اللهم صَلِّ على محمد حتى لا يبقىٰ من الصلاة شيء، وارحَم محمداً حتى لا يبقىٰ مِن الرحمة شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى من البركة شيء) (ص٦٤) هٰذا كلام باطل يخالف القرآن فإن صلاة الله ورحمته، وبركته، وسلامه دائمة لا تنفد ولا تفنى، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ لَو كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ ربِّيْ لَـنَفِدَ البَحْرُ قَبلَ أنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ ربي وَلَو جِئْنا بِمِثْلِهِ مَدَداً ﴾. «الكهف: ١٠٩»

١١- ثم يذكر في آخر الكتاب (الصلاة المشيشية) (ص ٢٥٩-٢٦٠) التي على الهامش، وهٰذا نصها: (اللهم صَل على مَن منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق.. ولا شيء إلا وهو به منوط. إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط).

أقول: هٰذا كلام باطل في أوله ، وسخيف معقَّد في آخره .

١٢- ثم يقول في تتمة هٰذا الدعاء (ص٢٦): (وَزُجَّ بي في بحار الأحديَّة ، وانشلني مِن أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتىٰ لا أرىٰ ، ولا أسمع ولا أحس إلا بها).

لاحِظ أخي المسلم أن في هٰذا الدعاء أمرين:

أ - قوله: (وانشلني مِن أوحال التوحيد). والأوحال هي الأوساخ. فهل للتوحيد أوساخ؟! . إن توحيد الله في العبادة والدعاء نظيف ليس فيه أوحال وأوساخ كما يزعم ابن مشيش، وإنما الأوحال والأوساخ في دعاء غير الله مِن الأنبياء أو الأولياء وهو مِن الشرك الأكبر الذي يحبط العمل ويخلِّد صاحبه في النار.

ب- قوله: (وزج بي في بحار الأحدية، وأغرقني في عين بحر الوحدة).

أقول: هذه وحدة الوجود عند بعض الصوفية التي عبَّر عنها زعيمهم ابن عربي المدفون بدمشق حيث قال في الفتوحات المكية:

العبدُ رَبٌّ ، والرَّبُّ عبدٌ ... ياليتَ شِعري مَن المُكلَّف؟
إنْ قلتَ عبدٌ فذاكَ حَقٌّ ... وإنْ قلتَ رَبٌّ فأنَّىٰ يُكلَّف؟

فانظر كيف جعل العبد ربّاً، والرب عبداً، فهما متساويان عند ابن عربي وابن مشيش الذي ذكر كلامه (دلائل الخيرات).

١٣- ثم ذكر المؤلف (ص ٨٣): (اللهم صلِّ على كاشف الغمة، ومُجلي الظلمة، ومُولي النعمة، ومُؤتي الرحمة).

أقول هذا إطراء زائد لا يرضاه الإسلام.

١٤- ثم يقول علي بن سلطان محمد القاري في ورده الذي سماه: (الحزب الأعظم) المطبوع على هامش(دلائل الخيرات، ص١٥) (اللهم صلِّ على سيدنا محمد السابق للخلق نوره) (ص١٧٨).

أقول: هٰذا كلام باطل يكذّبه الحديث القائل:

(إنَّ أوَّلَ ما خَلَقَ الله القلم). «رواه أحمد وصححه الألباني»

أما حديث : (أول ما خلق الله نورُ نبيك يا جابر) فهو عند أهل الحديث مكذوب وموضوع وباطل.

١٥- جاء في بعض النسخ من كتاب (دلائل الخيرات) وفي آخر قصيدة جاء فيها :

بأبي خليل شيخنا وملاذنا قطب الزمان هو المسمَّىٰ محمد

يقول: إن شيخه محمد يلوذ به ويلتجيء إليه عند المصائب، وهٰذا شرك، لأن المسلم لا يلوذ إلا بالله، ولا يلتجيء إلا إليه لأنه حي قادر، وشيخه ميت عاجز لا ينفع ولا يضر.

ويعتقد أن شيخه قطب الزمان، وهٰذا اعتقاد الصوفية القائلة:

إنَّ في الكون أقطاباً يتصرفون في أمور الكون ، حيث جعلوهم شركاء لله في تدبير الأمور ، مع أن المشركين يعترفون بأن المدبر هو الله

١٦- لقد ورد في كتاب (دلائل الخيرات) أدعية صحيحة، ولكن هٰذه الطامات الكبرىٰ السابقة الموجودة فيه أفسدت عقيدة القارىء للكتاب إذا اعتقد بها، فلم تَعُد تنفعه الأدعية الصحيحة، وفي الكتاب أخطاء كثيرة ، ومَن أراد التوسع فليرجع إلىٰ كتاب : (كتب ليست من الإسلام) لمؤلفه الأستاذ: محمود مهدي استانبولي حيث تكلم عنه، وعن قصيدة البُردة، ومولد العروس، وطبقات الأولياء للشعراني ، وتائية ابن الفارض ، والأنوار القدسية ، والتنوير في إسقاط التدبير ، ومعراج ابن عباس (وهو مكذوب عليه)، والحِكَم لابن عطاء الله الإسكندري ؛ وغيرها من الكتب التي طالب المؤلف بإحراقها لما فيها مِن الضرر على عقيدة المسلمين.

١٧- اِحذر يا أخي المسلم قراءة هذه الكتب ، وعليك بقراءة كتاب (فضل الصلاة على النبي ﷺ) للشيخ اسماعيل القاضي ، تحقيق المحدِّث الألباني، كما أن هناك كتاباً جيداً اسمه (دليل الخيرات) لمؤلفه (خير الدين وانلي) جمع فيه صلوات وأدعية صحيحة يغنيك عن (دلائل الخيرات) الذي يوقعك في الشرك والآثام .

اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وحبِّبنا فيه ، وأرِنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه وكرِّهنا فيه. وصلى الله على محمد وعلى آلِه وسلم.

هذا الكتاب يتحدث عن :

١-حقيقة الصوفية: وانقسام الناس فيها إلى مؤيِّد ومعارض، وأنه لا بُدَّ للمسلم مِن الرجوع إلى الكتاب والسنة ليعرف الحقيقة.

٢-أقوال الصوفية: وهي مأخوذة مِن كتبهم ، وهل هي موافقة للقرآن والحديث ؟ أم هي مخالفة لهما ؟

٣-كرامات الصوفية: هل هذه الكرامات تخالف النقل والعقل؟

٤-الجهاد عندالصوفية: هل هذا الجهادموافق للجهاد الإسلامي ؟

٥-الولاية عند الصوفية : مفهوم الولي ، وأولياء الرحمن وأولياء الشيطان في الكتاب والسنة.

٦-العبادة عند الصوفية: الخوف والرجاء في القرآن، وعند الصوفية

٧-قصيدة البردة للبوصيري: وَزْنُها بميزان الكتاب والسنة.

٨-كتاب دلائل الخيرات: وأن فيه مخالفات شرعية تخالف الإسلام

٩-التحذيرمن كتاب مولد العروس، وطبقات الأولياء للشعراني وتائية ابن الفارض ، والحِكَم لابن عطاء الله السكندري .

١٠-الترغيب في كتاب فضل الصلاة على النبي بتحقيق الألباني ودليل الخيرات لمؤلفه خير الدين وانلي ، وفضائل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ﷺ لمحمد بن جميل زينو.
